بسم الله الرحمن الرحيم

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٤٨ ـ جمادى الثانية ١٤٣٢هجرية قمرية

اردیبهشت ١٣٩٠هجرية شمسية / مايس (آيار) ٢٠١١

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦٩٨٢١ + هاتف: ٨٨٣٢١٤١١ ٩٨٢١ +

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقــع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٤٨

وقفات عند خطاب الإمام الخامنئي ٤

الأقليات الإسلامية ميزاتهم ومشاكلهم..... ١٢

من الميثاق التأسيسي لقضايا الوحدة الإسلامية..... ٢٤

إسرائيل رمز للتفرقة والتمييز العنصري ٣٧

التقريب بين المذاهب الإسلامية في ظل إطار جديد ٤٥

المثقفون والبحث عن البدئيات..... ٥٢

المقاومة في الأدب الفارسي..... ٦٠

فقه الوفاق ٧٧

يا تونس الخضراء..... ٩٠

الشهيد السيد البهشتي والتقريب..... ٩٤

بشائر عودة الأزهر الشريف ١٠١

أين المعزّ الفاطمي وجوهرُ ١٠٨

القيم الدينية في شعر مفدّي زكريا ١١١

وقفات عند خطاب الإمام الخامنئي

بشأن الصحوة الإسلامية المتصاعدة

• سقوط ديكتاتور مصر ضربة كبيرة لسياسات أمريكا في الشرق الأوسط • إذا لم نفهم هذه المرحلة التاريخية ولم نتخذ منها الموقف المناسب فقد تجرّ علينا المشاكل • العدوّ يحاول أن يصوّر حراك العالم العربي بأنه غير إسلامي • لقد أحسنّا الظنّ بالله وهو سبحانه تعامل معنا طبقًا لحسن ظننا به • نحن في إيران نتقدم والحمد لله باستمرار والعدوّ لا يملك إلاّ اختلاق الضجيج • شبابنا العاملون في التقنيات المعقّدة العليا متدينون مخلصون لربهم ولعقيدتهم • مصر أول بلد قارع الاحتلال الاستعماري.

الأمريكيون كانوا في بداية الهبّة متحيرين، وليس لديهم تحليل قبال هذه الأحداث، واتخذوا مواقف متناقضة.

دعم المستبدين دأب ثابت لدى الأمريكيين، وقد دافعوا عن حسني مبارك إلى اللحظة الأخيرة، لكنهم حينما لاحظوا أن بقاء مبارك لم يعد ممكنًا ألقوه جانبًا كما يلقى المنديل، وهذا ما

يجب أن يكون درس عبرة للساسة التابعين لأمريكا.

سقوط ديكتاتور مصر ضربة كبيرة لسياسات أمريكا في الشرق الأوسط . حينما يئست أمريكا من الإبقاء على بن علي وحسني مبارك بدأت جهودًا إيذائية وخبيثة, وسطحية طبعًا, للحفاظ على هيكلية أنظمتهم الدكتاتورية في تونس ومصر، لكن هذه الحيلة فشلت باصرار الشعوب على الانتفاض والتغيير.

إن الأمريكيين بعد فشل هذه الحيلة عمدوا إلى حيلتين أخريين هما الانتهازية واصطناع المثيل، وقد فشلت أيضًا حيلة الانتهازية ومصادرة الثورات.

وقد حاولوا من قبل في إيران إلى استخدام الاساليب المنحطة لاصطناع اختلاق كاريكاتير مضحك في إيران, وقد صفعهم الشعب الإيراني على أفواههم، وفشلت هذه الحيلة أيضًا.

فترة تاريخيّة من حياة الأمة

يعيش العالم الإسلامي اليوم مقطعًا تاريخيًا، وعلينا أن نفهم هذا المقطع ولا نغفل عنه. طوال الأعوام الثلاثين الماضية ـ من بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ـ لم يحدث مثل هذا الوضع في العالم الإسلامي على الإطلاق. وحينما نقول هذا المقطع فليس معنى ذلك أن العالم الإسلامي كان هادئًا وساكتًا وغير مكترث طوال هذه الأعوام الثلاثين، لا. أعتقد، والواقع هو هذا بالتأكيد، بأن نشاطات العظماء على مرّ الأعوام، وتحركات المصلحين، ودماء المضحين، وتعليمات أصحاب الفكر، وبالتالي

الثورة الإسلامية في إيران، تركت جميعها تأثيراتها في العالم الإسلامي، وقلّبت القلوب، ودلّت على الاتجاهات، وتراكمت المحفزات تدريجيًا وراحت هذه المحفزات تتجلى الآن في فرصة معينة. هذا المقطع مقطع مهم، ويمكنه أن يفضي لحل مشكلات العالم الإسلامي، وإذا لم نفهمه بصورة صحيحة، ولم نستفد منه بصورة صحيحة، فقد يخلق لنا مشكلات أخرى.

ما حدث هو تحرك مليوني للجماهير في الساحة. وهذا شيء منقطع النظير. هذا التحرك في الجمهورية الإسلامية هو الذي أنقذ إيران . لو نزلت الأحزاب والجماعات والشخصيات وما إلى ذلك للساحة بدل الجماهير لما حدث هذا التأثير. ثمة في تواجد الجماهير المليونية تأثير لا يوجد في أي شيء آخر. وبالطبع فإن التواجد المليوني للجماهير غير متاح من دون الإيمان القلبي. أن يحضروا ويتواجدوا أولاً، وأن يبقوا إلى حصول النتيجة ثانيًا، وأن يحافظوا على النتيجة ثالثًا. هذا ما يحتاج إلى الإيمان الديني والإسلامي.

ذكرت الثورة الفرنسية هنا. كانت الثورة الفرنسية حركة شعبية انتهت إلى النصر، لكن ذلك النصر لم يجر الحفاظ عليه وصيانته. وقعت الثورة الفرنسية الكبرى في سنة ١٧٨٩ ، وفي سنة ١٨٠٠ ، أي بعد أحد عشر عامًا ظهرت في فرنسا حكومة ملكية أخرى، حيث تولى نابليون زمام السلطة.. وكأن لم يحدث شيء! ثم مات نابليون وعادت العائلة التي خلقها الثورة الفرنسية إلى

السلطة، أي عائلة البوربون. واستغرق الأمر سنين طوالاً إلى عام ١٨٦٠ حيث كانت سلالات الملوك والسلاطين تتعاقب في فرنسا. إذن، انتصرت الثورة على أيدي الناس، لكن الناس لم يستطيعوا الاحتفاظ بالثورة. وهذه نقطة على جانب كبير من الأهمية. وقد استطعنا نحن الحفاظ على ثورتنا ببركة الإيمان وبفضل الإسلام وبفضل الضخّ المتعاقب لروح القرآن الكريم في جسد هذا الشعب وفي قلوب هؤلاء الجماهير. هذا ما بوسعه ضمان بقاء الحركات واستمرارها وانتصارها. وهذا ما يجب أن يحصل.

الجماهير اليوم في الساحة، في مصر وفي تونس وفي مناطق أخرى. وهذا ما يجب أن يوجّه الوجهة الصحيحة المعطاءة. العدو يحاول تصوير هذا التحرك على أنه غير إسلامي، وهذا خطأ. أنه تحرك إسلامي بالتأكيد. ماضي مصر يدل على هذا. والتحرك المصري اليوم يدل على هذا. شعارات الجماهير وتواجدها في صلوات الجمعة تدل كلها على هذا. إذن هو تحرك إسلامي دون شك، رغم أن الأعداء يحاولون مصادرة هذه الظاهرة الإسلامية في مصر أو في الأماكن الأخرى. ينبغي تعزيز هذه الحركة.

أمريكا هي أساس المشكلة في العالم الإسلامي. تواجد المستكبرين والمستعمرين في العالم الإسلامي وجّه أعنف الضربات للهوية الإسلامية والشعبية للشعوب، بدءًا من شرق العالم الإسلامي حيث أندونيسيا وماليزيا والهند وإلى أفريقيا.

تواجد المستعمرين هو الذي أضعف الشعوب وامتص دماءهم

وأضعف إرادتهم. وذلك المستكبر والمستعمر اليوم هو أمريكا. والباقون على الهامش. تواجد أمريكا هو المشكلة الأكبر يقال: «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب». تواجد أمريكا هو في الوقت الراهن أكبر المآسي في العالم الإسلامي. وهذا ما ينبغي معالجته. ويجب إبعاد أمريكا عن الساحة، ولحسن أمريكا اليوم ليست أمريكا قبل عشرين سنة وثلاثين سنة. أمريكا اليوم غدت ضعيفة جدًا. وهذا ما ينبغي الحفاظ عليه وعدم الركون لليأس...

هناك نوعان من الأفراد في مواجهة الأعداء نوع تشير إليهم الآية: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا، وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ هذه نظرة ورؤية في مواجهة هذه الأحداث. وهناك نظرة أخرى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ وكلا النظرتين في حادثة واحدة. كلاهما تعود لحادثة الأحزاب. البعض حينما يرون الأحزاب يقولون: ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، والبعض الآخر حينما يرون الأحزاب يقولون: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

لدينا نوعان من الأفراد، نوع من الأفراد حينما يرون هيمنة أمريكا وقدراتها العسكرية والدبلوماسية والإعلامية وأموالها الوافرة، يفزعون ويقولون إننا لا نستطيع فعل شيء، فلماذا نهدر طاقاتنا دون فائدة؟ ومثل هؤلاء الأفراد موجودون الآن، وكانوا

موجودين في زمن ثورتنا. لقد واجهنا أفرادًا من هذا القبيل كانوا يقولون: لماذا تجهد نفسك دون فائدة يا سيدي، اقنعوا بالحد الأدنى، وأنهوا القضية.

والبعض الآخر يقارنون قدرة العدو بقدرة الله تعالى، ويضعون عظمة العدو مقابل عظمة الخالق، وعندها سيرون أن العدو تافه كلّ التفاهة، وليس بشيء. وسيحسبون الوعد الإلهي حقًا وصدقًا، ويحسنون الظن بالوعد الإلهي.. هذا مهم.. لقد وعدنا الله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. هذا وعد قاطع وأكيد. إذا أحسنا الظن بالوعد الإلهي سوف نعمل بطريقة معينة، وإذا أسأنا الظن بالوعد الإلهي فسوف نعمل بطريقة أخرى. ولقد شخّص الباري تعالى الذين يسيئون الظن بالله فقال: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾. هؤلاء ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ موجودون اليوم أيضًا. ويقول بعد عدة آيات: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾. سوء الظن بالله يجعل الإنسان يقعد ويعجز عن التحرك والسعي والعمل. وإذا أحسنّا الظن بالله استطعنا العمل والتقدم.

نحن نحسن الظن بالله، وقد تعامل الله تعالى معنا طبقًا لحسن ظننا به. طوال هذه السنوات الثلاثين ونيّف تعامل معنا الله تعالى طبقًا لحسن ظننا به. كانت لنا مشكلات عديدة وقد خرجنا من جميعها منتصرين. الحظر الاقتصادي لم يكن بالشيء القليل.

لكننا سحقنا الحظر بأقدامنا. في الفترة الأخيرة قالوا إننا لن نبيعكم البنزين. ونحن بلد ينتج النفط لكننا نستورد البنزين، لكننا واستطعنا بفضل الله في ظرف أقل من سنة أن نستغني عن استيراد البنزين. فرضوا علينا الحرب ثمانية أعوام. وضعونا مقابل عدو عنود سيئ خبيث جدًا مثل صدام حسين، ودافعوا عنه ودعموه بكل طاقاتهم. واستطعنا والحمد لله التغلب على تلك الحادثة.

تقدمنا واثقين بالله في كل الميادين. ونتقدم اليوم في الميدان العلمي. لقد استطعنا بتوفيق من الله وبقدرة الله أن نتقدم في المجال النووي. واليوم يثير الغربيون الضجيج، ويثيرون الإعلام، ويضغطون، لكنهم لا يستطيعون فعل شيء. الوقت لصالحنا. إننا نتقدم باستمرار وهم يقرعون رؤوسهم باستمرار ويثيرون الضجيج. هكذا هو الحال حينما ندخل الساحة متوكلين على الله.

الشباب الذين يعملون في المجال النووي أصروا قبل سنتين أو ثلاث وطلبوا أن يأتوا للقائي. وأقاموا هنا في هذه الحسينية معرضًا لأشاهد عن قرب أعمالهم. وذهبت ورأيت أنهم كلهم شباب، هذا أولاً، وثانيًا كلهم مؤمنون متدينون. ذات يوم كان التصور أن ساحة العلوم الحديثة مقتصرة على غير المتدينين. لكنني وجدت أن الأمر غير ذلك، فكلهم شباب متدينون مؤمنون مندفعون ومخلصون. هكذا هو الحال الآن في مختلف قطاعات البلاد. هذه هي تجربتنا. وهي تجربة نضعها تحت تصرف العالم الإسلامي.

طبعًا الشعب المصري والشعوب الأخرى غنية والحمد لله

بالتجارب والمعارف الإسلامية. خطبة الجمعة قلتُ إن الشعب المصري كان أول شعب تعرف على الثقافة الغربية وكان أول شعب أدرك معايب هذه الثقافة وواجهها. وقد كانت مصر مقر الشيخ محمد عبده والسيد جمال وآخرين. وقد كان هؤلاء أول من واجه الثقافة الغربية مباشرة. وبعد ذلك أيضًا كانت مصر والكثير من البلدان العربية ـ والحمد لله ـ مركزًا لانطلاق الأفكار الإسلامية.

واليوم فإن هذه الجماهير قد نزلت إلى الساحة، وينبغي السعي لكي لا يستطيع العدو مصادرة حركة الشعب المصري، ولا يستطيع تحريفها، ولا يتمكن من إبقاء بقايا النظام الطاغوتي والفرعوني في مصر. ينبغي الحذر من هذه الحالات. هذا من واجب المصريين أنفسهم، وهو كذلك من واجب كل العالم الإسلامي.

يجب أن لا تكون هناك فوارق بين الشعوب. الأثر الأول للوحدة الإسلامية يجب أن يكون الشعور بالتعاطف والتضامن بين الشعوب. حينما يفرح شعب تفرح له باقي الشعوب، وحينما يكون حزينًا تحزن له باقي الشعوب. وحينما يكون في مأزق يرى الآخرون أنفسهم أصحاب سهم في ذلك المأزق، وحينما يستنصرهم شعب يهبّ الآخرون لنصرته ويأتوا إليه. هذا هو واجبنا. وهو ما سوف يحصل ويتقدم. إننا مؤمنون بهذا الوعد الإلهي، وعلى يقين منه، ونؤمن بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وأن الله تعالى سيعين المؤمنين دون شك.

الاقليات الإسلامية
ميزاتهم ومشاكلهم

محمد علي التسخيري*

• لا تكاد توجد منطقة في العالم تخلو من مسلمين • الاعتزاز بالإسلام ناتج عن طبيعة تغلغل هذا الدين في أعماق النفوس • في الاتحاد السوفيتي السابق زعماؤه اعترفوا بأن الإسلام أقوى من كل تخطيط لضربه • الأقليات المسلمة منشدة عاطفيًا إلى العالم الإسلامي • مفتاح ثقافة المسلم هو اللغة العربية • الإعلام في بلدان المهجر مشحون بالمفاهيم المنحرفة • عدم التنسيق بين الجهود والإمكانات يؤدي إلى إضعاف موقف المسلمين.

الأوضاع العامة:

من المعروف أن عدد المسلمين خارج العالم الإسلامي راح يقرب من عددهم داخله، كما أن عددهم داخل بعض البلدان كالصين والهند وفرنسا وروسيا وأميركا يربو على عدد سكان كثير من البلدان الإسلامية ويتمتع هؤلاء المسلمون بميزات كثيرة أخرى لعل أهمها:

* -الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية .

أولا: التنوع:

فهم ينتمون إلى شتى الأعراق والأمم حتى ليمكن القول بأن انتماءاتهم يقارب عدد الأعراق في العالم إذ لاتجد قومية إلا وفيها مسلمون إما يمتدون مع الزمن إلى تاريخ طويل أو أنهم أسلموا في أوقات متأخرة.

وكمثال على ذلك نلاحظ أن كاتبة غربية هي (اكيينر) كتبت تقول: «في الاتحاد السوفيتي يوجد الآن خمسة وأربعون مليونًا ونصف مليون مسلم وهؤلاء يمثلون أحد التجمعات الإسلامية الكبيرة في العالم، والثاني من حيث الحجم بعد بلدان مثل أندونيسيا، بنغلادش، والهند وباكستان وهو مجتمع له صفات استثنائية من حيث البنى والثقافة والاختلاف الإقليمي.

ويتوزع المسلمون السوفيت على أرض غربًا إلى حدود بولندة وشرقًا إلى حدود الصين، يتواجدون في مناطق سيبرية شمالا وفي وسط آسيا وعبر القفقاز جنوبًا.. إنهم يمثلون لوحة واسعة من المجموعات العرقية فهناك الأجناس التركية كالتتار والآذربايجانيين والأوزبيك والأليغور، وهناك الإيرانيون مثل الطاجيك والاوستينياس والأكراد والبلوش، وهناك القوقاز والليزغبين والتاباصار، وهناك مجموعات عديدة صغيرة أخرى مثل العرب والأرمن والكيمثيلز والصينيين الأنفار وغجر آسيا الوسطى والمنغول والفينلانيين الخ»[1]

---

(١) الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق ص ٢٥.

وهـذا التنـوع نشـهده كـذلك في التـوزع الجغـرافي فـلا تكـاد منطقة تخلو من وجود مجموعة مسلمة، وهكذا نشهده في اللغات والثقافات والأعراف والمستويات العلمية ومدى المساهمة في مجرى الأحداث والسياسات المحلية والخارجية، ومدى تمتعهم بحقوقهم الاجتماعية، وقدراتهم الاقتصادية وغير ذلك.

ثانيًا: الاعتزاز بالإسلام وتأصله في النفوس:

وهـذه ظـاهرة واضـحة نرجعهـا نحـن إلى طبيعـة الإسـلام نفسـه باعتبـار طاقاتـه الذاتيـة علـى النفـوذ إلى اعمـاق الـنفس وتوجيـه السلوك الإنساني ومجمل الثقافة، وباعتبار انسجامه مع الفطرة الإنسانية.

ولقـد تحـول الإسـلام في بعـض المنـاطق إلى حالـة قوميـة كاملـة وهـو مـا نلحظـه في البوسـنة وروسـية والصـين وحتـى في أميركـا وأوروبا أحيانا.

تقول الكاتبة السابقة: «والواقع أن ظاهرة بقاء الإسلام هي في الواقع أكثر إثارة للاهتمام من نهوضه، وقد اعتقد كثير من الناس أن الإسلام خلال القرن التاسع عشر قد أفلس روحيًا، وقد تحدث رحالة مثل (شبيلر) و (فامبيري) عن الغياب الظاهر للدين الحقيقي في وسط آسيا. ولابد أنه كان من الصعب عليهما أن يدركا أنه بعد قرن من ذلك الوقت وفي ظل نظام مختلف أن أولئك المواطنين مازالوا يعرفون أنفسهم على أنهم مسلمون،

والواقع أن كثيرًا من المسلمين السوفيت لم يمارسوا واجباتهم الدينية كما يجب... وهكذا فإنه ليس أي شيء ريائي أو وهمي بالنسبة للمسلم السوفيتي بأنه ينتمي لمجتمع مسلم، القومية بلا أدنى شك كانت عنصرًا في تأكيد تأثير الإسلام».[1]

وهذا النص يشع بكثير من الأمور ويوضح التفاعل بين الإسلام والقومية، ومدى تأصله في النفوس حتى عندما يكون الضغط بمستوى قهر السوفيت الطاغي والشامل والمتعمق بكل تخطيط لمحو الإسلام قبل كل شيء.

وقد حضرتُ مؤتمرًا في جمهورية آذربايجان تحدث فيه رئيسها المتوفى (حيدر علييف) وكان مستشارًا لبريجنيف رئيس الاتحاد السوفيتي السابق فاكد ان الشيوعيين رغم محاربتهم للدين عمومًا باعتباره ـ كما تدعي الماركسية ـ أفيون الشعوب، فقد مسوا المسيحية مسا خفيفًا وركزوا كل همهم على الإسلام وتمزيقه. وتبين للعالم بعد انتهاء الحكم الشيوعي أن الإسلام أقوى من كل تخطيط لضربه مهما كان واسعًا.

ويمكن أن نكتشف من خلال مطالعة هذه الحالة تأثير أبعاد الإسلام في عملية الصمود، وحتى أن بعض الأحكام الفرعية في العقد والزواج والطلاق والدفن كان لها تأثير كبير في الحفاظ على الهوية.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩.

ثالثًا: الشعور باللحمة التي تربطهم بالعالم الإسلامي بقوة

وهي ظاهرة عامة وإن كانت تختلف شدة وضعفًا من منطقة إلى أخرى وهي أيضا ناتجة من طبيعة الإسلام وتخطيطه للحياة. وتعتبر من اهم العناصر الإيجابية التي يجب تقويتها بشدة وهي نفسها ما يرعب أعداء الأمة ويشكل هاجسًا مستمرًا لهم وربما يظهر هذا الهاجس أحيانا في فلتات ألسنتهم.

إن المسلمين أينما كانوا يرنون بانظارهم إلى العالم الإسلامي ويتوجهون في صلواتهم إلى قلب هذا العالم، ويعشقون لغة القرآن ويتفاعلون بشكل طبيعي مع آلامه وآماله.

رابعًا: المشاكل المشتركة

ويشتركون جميعًا في مواجهة حملة شرسة تعمل على إفقادهم هويتهم وتقاليدهم وربما استهدفت وجودهم في تطهير عرقي فضيع كما شاهدنا الأمر في البوسنة. وتكاد المشاكل تتحد في أكثر الأماكن.

وبالطبع فإن هناك تفاوتًا كبيرًا بينهم في الشدة والضعف، وفي القدرة على المواجهة إلا أن الملاحظ تمامًا هو عملية الاستهداف المنسق والذي يزداد يومًا بعد يوم وخصوصًا بعد حوادث الحادي عشر من أيلول في أميركا.

بعض المشاكل المشتركة:

والمشاكل التي يواجهونها كثيرة ومتنوعة فهناك مشاكل

ثقافية ترتبط بالتشكيك في العقيدة وإعطاء الجيل الناشيء معلومات مادية. ويزداد الأمر خطورة عندما يتم ذلك في أجواء مادية بعيدة عن المعنويات تترك أثرها السلبي؛ عبر إيجاد حالة اللامبالاة وتعميق روح استغناء الفرد عن العائلة، وعدم الاكتراث والاهتمام بتطبيق الواجبات والحذر من المحرمات. وهناك مشاكل اجتماعية خطيرة تعليمية وتربوية وإعلامية وسنذكر فيما يلي بعضها:

أ ـ المشاكل الثقافية:

وتعتمد ثقافة كل مسلم على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومفتاح فهم هذه الثقافة هو اللغة العربية. وفي الوقت الحاضر فإن الاختلاف الثقافي الأساسي بين الأقليات المسلمة والبلدان غير الإسلامية يعود إلى الاختلاف في اللغة أو بتعبير أفضل عدم معرفة اللغة العربية في تلك المجتمعات.

وهذا الاختلاف يؤدي إلى تباين نمط التفكير لدى هذه الأقليات خلال البحث عن المصادر الثقافية للفكر الإسلامي وهذا الأمر أكبر خطر يهدد عقيدتها نفسها.

وهنا ينبغي القول إن المراد من الثقافة الإسلامية هو الرؤية الفكرية الكاملة التي يملكها الإسلام نحو الكون، لأن تعليم الإنسان وهو في سن الطفولة والفتوّة إنما يتم في تلك البلدان بعيدًا عن الإسلام تمامًا وبعقائد أخرى متأثرة بإعلام البلدان الأنظمة غير الإسلامية البعيد تمامًا عن الأهداف الإسلامية.

ومثل هذا الخطر ماثل ومحدق بالأجيال التالية، وكلما جاء

جيل جديد كان أكثر من سابقه في الذوبان في الثقافة الأجنبية، مما يؤدي إلى نمط من فقدان الهوية الثقافية لدى هذه الأقليات المسلمة، هذا أولاً.

وثانيًا: يحصل نوع من عدم الانتماء لدى أبناء الأقلية تجاه المجتمع الذي يعيشون فيه، مما يسفر - بحد ذاته - عن التفكك العائلي وازدياد حالات التمرد لدى الأطفال، والانتحار بين الكبار وخاصة بين المترفين والأثرياء، وفقدان الموجّه للشباب المسلمين.

وثالثًا: ان ذلك يسفر عن ظهور حالة من الفتور وعدم الإقبال تجاه تنفيذ الأحكام الإسلامية وأحقية الإسلام، وهذه الحالة لوحظت بين أفراد الجيل الثاني للنساء وخاصة فيما يخص التزامهن بالحجاب وظهرت فيما بينهن حالة ازدواجية الشخصية.

فمن جانب؛ نجدهنّ يفضّلن عدم ارتداء الحجاب لكي لا يصبح ذلك سببًا في لفت الأنظار إليهن وليتمكنّ من العيش في المجتمع بسهولة وراحة أكثر. ومن جانب آخر فان التعاليم الإسلامية تمنعهن من القيام بذلك.

ورابعًا: يحصل نمط من الاختلاف الفاحش والبون الكبير في الاحتياجات المعنوية والنفسية للجيلين الأول والثاني.

ب - المشاكل الاجتماعية:

عندما يقطن مسلم في أحد البلدان غير الإسلامية يواجه العديد من المشاكل، وما أقصد تبيانه هنا المشاكل الاجتماعية في المجتمعات التي تتوافر فيها حرية العقيدة والمذهب وباستطاعة

المسلمين أن يؤسسوا الجمعيات والاتحادات الإسلامية وأن يمارسوا كل نشاطاتهم وعباداتهم الإسلامية.

ويمكن تقسيم أبرز المشاكل الاجتماعية التي يعانونها إلى أربعة أصناف هي:

- مشكلة التعليم.
- المشاكل التربوية.
- مشكلة الاختلاط .
- مشكلة الإعلام.

١- مشكلة التعليم:

إن الخطر المهم الذي يهدد الأقليات القاطنة في البلدان غير الإسلامية هو النظام التعليمي ذو الأهداف الوطنية في تلك البلاد. في هذا النمط من الأنظمة التعليمية ثمة تباين كبير بينها وبين النظام التعليمي الإسلامي، لأن الأخير له أصول ذاتية نابعة من داخله. وهدفه تعليم وتربية المسلم من حيث العقيدة والقيم والأخلاق وكيفية التعامل مع الناس، بينما نرى أن الانظمة غير الإسلامية تقوم بتعميق الاتجاهات والمشاعر القومية والوطنية والتاريخية للتوصل إلى غاياتها.

مشكلة فقدان المدارس التعليمية للاطفال المسلمين تعتبر إحدى المشاكل المهمة واذا وجدت بعض المدارس التي تستهدف تربية وتعليم الاطفال والناشئة المسلمين استناداً إلى الأصول

والمبادئ الإسلامية فإن فيها اثنين من النواقص والإشكالات المهمة:

أحدها: إنها مفتوحة في أيام العطل الأسبوعية فقط وفي سائر أيام الأسبوع يجري تعليم الأطفال المسلمين في المدارس الحكومية.

والثاني: إن هذه المدارس لا تعطي للدارس فيها وثيقة تخرج معترفًا بها رسميًا ليتمكن الشباب المسلمون من الحصول على عمل مناسب استنادًا اليها.

ومن المشاكل الأخرى التي تعاني منها الأقليات الإسلامية فقدان المكتبات والمراكز التعليمية، ويمكن أن تبذل منظمة المؤتمر الإسلامي جهودها في سبيل تأسيس هذه المراكز في البلدان غير الإسلامية.

كما أن تأسيس مراكز التوثيق والمعلومات من أجل إيصال المعلومات وتوعية الأقليات يعتبر من أهم الأمور التي ينبغي لمنظمة المؤتمر الإسلامي ـ باعتبارها تمثل العالم الإسلامي برمته ـ أن تدرجها في جدول أعمالها.

٢ - المشاكل التربوية:

إن أهم قضية تواجهها الأقليات المسلمة هي أنها تقطن في مجتمعات غير إسلامية تختلف عن المجتمعات الإسلامية من جميع النواحي. وبعبارة أخرى يمكن القول إن المجتمع هو الرحم الذي تنشأ وتتربى فيه شخصية الإنسان. وبما أن الأقليات تعيش في رحم غير الرحم الإسلامي فإن ذلك يقترن بخطرين:

الأول: أنها تؤدي إلى إحباط مفعول التربية الإسلامية وجعلها غير مجدية.

الثاني: أن الأولاد يتعرضون لضغوط وتجاذب شديد من قبل نمطين من التربية، أحدهما ما يريده منه دينه والثاني ما يفرضه عليه الواقع الاجتماعي الذي يعيشه.

ومن المشاكل التربوية التي تعانيها الأقليات الإسلامية هو أن أبناءها يدرسون في مدارس غير إسلامية وتحت إشراف معلمين غير مسلمين، وفي كثير من الأحيان يتعرضون للذوبان في المجتمع غير الإسلامي مما يؤدي إلى فقدان التربية الإسلامية وبالتالي يؤدي لاضعاف الهوية الإسلامية.

وإضافة إلى خطر المعلمين فإن هناك خطرًا آخر هو اختلاطهم بزملاء في الدراسة غير مسلمين يعايشونهم يوميًا في تلك المدارس، وربما فاق تأثير هؤلاء على الطلبة الفتية المسلمين وعلى تبلور شخصياتهم، تأثير المعلمين أنفسهم.

كما أن عدم معرفتهم باللغة العربية تجعلهم عاجزين عن فهم القرآن الكريم وكتب التراث والسيرة والأحاديث النبوية، وهذه الأخرى إحدى المشاكل التربوية التي يعانون منها، وفضلاً عن ذلك فإن خطر غسيل الدماغ يتهدد أبناء الأقليات الإسلامية وهو نموذج للغزو الفكري السائد في تلك المجتمعات.

٣ - مشكلة الاختلاط:

ليس للأقليات المسلمة القاطنة في بلدان غير إسلامية مناصٌّ من

مراعاة الجو الاجتماعي والعادات الاجتماعية السائدة في تلك البلدان. ولكن لا يجوز للنساء ارتداء الألبسة التي تريدها نساء تلك البلدان، ومن أجل حل هذه المشكلة فلابد من الاهتمام بملابس المرأة اهتمامًا خاصًا، بحيث أن لهذا الأمر آثارًا في نمط تفكيرها وسلوكها، ويجعلها مصونة من انحرافات ووساوس المجتمعات غير الإسلامية. ولابد أن يتخذ هذا اللباس صفة الطابع العام بين نساء المسلمين هناك. وينبغي الاهتمام بالجمعيات والاتحادات الإسلامية أكثر لكي تولي اهتمامًا خاصًا بهذا الأمر، ويمكن استخدام البرامج التي تبث عبر القنوات الفضائية الإسلامية لإرشاد النسوة المسلمات كي يحافظن على أصالتهن، وأن لا يقلد الناشئة والشباب والشابات المسلمات أبناء المجتمعات التي يقطنون فيها، من حيث الظاهر وطبيعة الملابس التي يرتدونها.

٤ - مشكلة الإعلام:

وهذه المشكلة شأنها شأن التعليم، وفي الحقيقة أنهما وجهان لعملة واحدة ويعكسان أفكار المجتمعات غير الإسلامية. وبشكل عام فإن وسائل الإعلام العامة تشغل حيزًا واسعًا من أذهان الناس وتفكيرهم في تلك المجتمعات، فهذه الدول لا تشحن إعلامها بالمفاهيم القومية والوطنية فحسب، بل إن الإعلام في هذه الدول مشحون بالمفاهيم المنحرفة والمروجة للفساد والهادفة إلى تحقيق الغايات والأهداف المادية والسياسية.

والعلاج الوحيد لهذه القضية ترسيخ أسس وأركان شخصية

المستمع والمشاهد للبرامج الإعلامية لوسائل الإعلام ورفض ما فيها من مفاهيم مناوئة للإسلام ومناقضة لأفكار المسلمين. ولكون هذه الأفكار تشغل حيزًا واسعًا من برامج وسائل الإعلام المذكورة فإن ذلك أدى إلى انكماش تلك الأقليات عن مجتمعاتها وعدم تقبل تلك المجتمعات لهذه الأقليات في الوقت نفسه.

ج – المشاكل الاقتصادية:

تعاني الأقليات الإسلامية ـ وعدد أبنائها ليس بالقليل ـ من ضائقة مالية وأوضاع اقتصادية صعبة، ويضطر الوالدان في تلك الأسر لتخصيص كل أوقاتهم للعمل من أجل كسب لقمة العيش وتوفير المأوى لتلك العوائل، ومن هنا فإن مثل هؤلاء الأشخاص يصعب عليهم الاهتمام بتعليم أبنائهم.

وإن الفقر الاقتصادي يستتبع التدني في الأوضاع الصحية الناتجة عن سوء التغذية، وكلاهما يتظافران لإيجاد العوائق والعقبات في حياة الأقليات المسلمة.

وبعض العوائل المسلمة التي تعيش في مستوى اقتصادي متوسط عاجزة هي الأخرى عن بناء مسجد أو مدرسة، خاصة عندما يمتنع بعض افراد هذه العوائل عن دفع الإعانات والمساهمات المالية. وهنا لابد من القول إن فقدان التنسيق بين الجهود والإمكانات يؤدي إلى إضعاف موقف المسلمين وعدم تمكنهم من مواجهة المشكلات والصعوبات التي تعترض طريقهم. وبعض الأنظمة والحكومات تحاول صب الزيت على النار وزيادة حدة التناقضات والخلافات القائمة في هذا الصدد.

من الميثاق التأسيسي لقضايا الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية

محمد مهدي شمس الدين*

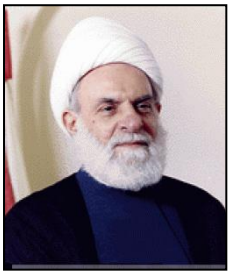

• الإسلام دين عالمي والأمة الإسلامية مظهر لعالمية الإسلام • وجود الأمة الإسلامية ووحدتها حقيقة عقائدية وتاريخية وتشريعية • لابدّ من تجاوز الوقائع التي أدت إلى نشوء انقسامات سياسية • لا يمكن أن نبني الوحدة بإيحاء خلافات الماضي • التمذهب ظاهرة طبيعية في داخل الإسلام • الموقف السليم والاتجاه الشرعي المستقيم يقتضيان الاعتراف بكل مذهب • التكامل الثقافي لا يكون بمحاولة الاستفزاز.

إن الأمة تعاني من نوعين من الخلافات التي تصدِّع وحدتها، وتوهن تماسكها، وتفرِّق كلمتها :

١. خلافات المصالح والمخاوف السياسية الناشئة من عوامل التفاعل والتدافع في المجال الدولي والإقليمي، وفي صميم ذلك

١ -رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى السابق بلبنان.

نفوذ القوى الأجنبية غير المسلمة في العالم الإسلامي (أوروبا وأمريكا). وهذا النوع من الخلافات قائم بين الدول الإسلامية نفسها (بين دولة ودولة، بين دولة ومجموعة دول، وبين مجموعات دول).

٢. خلافات المذاهب على المستوى العقائدي والفقهي ؛ وهذه خلافات تتمظهر داخل كلّ دولة في علاقات المواطنة بين المواطنين أنفسهم، وفي علاقات فئة من المواطنين بالحكومة التي تختلف عنهم في الانتماء المذهبي.

٣. يتولد من تمظهر الخلاف في علاقات المواطنة شعور النبذ والعزل، ويتولد من تمظهر الخلاف في علاقات السلطة الاضطهاد السياسي والحرمان في مجال التنمية والمشاركة في جسم الدولة.

يفترض أن منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات الإقليمية الأضيق نطاقًا (الجامعة العربية، مجلس التعاون، الاتّحاد المغاربي) وهذه كلها منظمات حكومية تعالج الخلافات على المستوى الأول ؛ ولكن لا توجد هيئة (أو هيئات) أهلية تهتم بهذا المستوى من الخلافات.

أمّا المستوى الثاني من الخلافات فقد كان مدار اهتمام القيادات الواعية في الأمة منذ النهضة الحديثة، بعد هجمة الاستعمار، وانهيار النظام العثماني، (جمال الدين الأفغاني ومدرسته).

وقد عبّرت عن هذا الاهتمام جهود فردية أول الأمر (نداءات

وأبحاث لمفكرين وفقهاء)، ثم تمظهر في المؤتمر الأول الذي عقد في القدس سنة ١٩٣١م وكان همّ الوحدة أحد همومه البارزة. ثم تمظهر في مؤسسة متخصصة متفرغة لهذا الشأن هي دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي شكّلها في القاهرة نخبة من الفقهاء والباحثين من الشيعة والسنّة، ورعاها الأزهر من جهة، والمرجع الديني الشيعي الكبير السيد البروجردي من جهة أخرى. كما تمظهر في العلاقات التي أرساها الشيخ المرحوم حسن البنّا مع علماء ومفكري الشيعة في تلك المرحلة.

خطاب الوحدة في العقيدة والشريعة

إن خطابات التأسيس تركز على وحدة الأمة في مجال الفكر والعقيدة وفي مجال العمل والسلوك.

أ ـ خطاب العقيدة :

إن الأمة المسلمة تكونت على قاعدة التوحيد في التصور والعقيدة، ومن ثم تكون موحدة في الولاء والانتماء، وموحدة في الموقف والفعل.

وقد حفل القرآن الكريم بالآيات الكريمة التي تضمنت بيان هذه الحقيقة في مجال العقيدة ومجال التشريع، وحثت المسلمين علي رعايتها:

﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران/٣٠١).

﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ

لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران/١٠٥).

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾(الأنعام/١٥٣).

﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال/٦٤٦).

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾(الصَّف/٤).

ب ـ الخطابات العملية:

الخطابات العملية إلى الأمة تقتضي الوحدة.

١ - ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(الأنفال/٠٦٠).

إن أحد أعظم مظاهر القوة هو الوحدة.

إن هذا الخطاب للأمة، ولا يمكن أن تملك الأمة القوة العسكرية إذا كانت منقسمة على نفسها، سواء كان الانقسام علي مستوي الأمّة أو على مستوى هذا المجتمع أو ذاك من مجتمعاتها.

٢ - النهي عن اختلاف المواقف في القضايا المصيرية :

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ ﴾(النساء/٨٨) هذا لا ينافي الشورى وتعدد وجهات النظر، ولكن لا بد من التوحد على المستوى العملي. وهذا أمر متعذر إذا كانت الأمّة منقسمة علي نفسها سواء كان الانقسام علي مستوي الأمة أو علي مستوي هذا المجتمع أو ذاك من مجتمعاتها.

٣ - وجوب الإصلاح في حالة الاختلاف :

افترض التشريع حصول خلافات تصل إلي حد الاقتتال :

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الحجرات/٩).

مدخل

الإسلام دين عالمي، والأمّة الإسلاميّة هي مظهر لعالميّة الإسلام. ولكن تركيز الخلافات المذهبية وترتيب الآثار عليها، يلغي عالمية الإسلام ويحوله إلي دوائر متحاجزة لا تتمتع بأي عمومية ولا تستطيع أن تنشئ خطابًا عالميًا.

إن فعلية وفاعلية عمومية الإسلام وعالميته، وعالمية الأمة الإسلامية تتوقف على التخلّي عن كلّ ما يؤدّي إلي التحزب والتشرذم.

إن وجود الأمة الإسلامية ووحدتها حقيقة عقائديّة وتشريعية وتاريخية، ولا مجال للمراء في ذلك على الإطلاق.

وإن كون هذه الوحدة تنتظم المسلمين في جميع تنوعاتهم العرقية واللغوية والمذهبية أمر يجب الاعتراف به، وترتيب آثاره في جميع علاقات المسلمين في مجال المصالح فيما بينهم وفي مواجهة الأغيار.

لابد من تجاوز الوقائع التاريخية التي أدت إلى نشوء انقسامات سياسية تلابست بعد ذلك مع الاختلاف في الرؤية العلمية أو الرؤية

الفكرية في مجال التشريع، إن كان في مجال الأدلة أو في مجال الاستنباط.

لابد من اعتماد أسلوبٍ يراعي وحدة الأمة في تثقيف عامة الناس بهذه الوقائع التاريخية وبتفاعلاتها السياسية، ويتجنب ما يؤدّي إلى القطيعة ؛ ذلك أن التحزب ينقل تفاعلاتها إلى حاضر الأمة وواقعها الراهن، ويتسبب في القطيعة بين مجموعات الأمة، وهو ما حرص الإمام علي وأبناؤه على تجنّب الوقوع فيه، بل قدّموا تضحيات كثيرة مادية ومعنوية لتفاديه حفاظًا على وحدة الأمة وسلامة كيانها.

يجب أن نلاحظ الواقع الذي نعيش فيه. لا يمكن أن نبني الوحدة بإحياء خلافات الماضي، بل نبني الوحدة بالتركيز على حاجات الحاضر، وعلى المسلمات الثوابت في العقيدة والشريعة الإسلامية التي تجعل من المسلمين أمة واحدة.

من جهة أخرى لا بد أن نعيد الاعتبار، على مستوى المجتمعات والحكومات الإسلامية، إلى حكم شرعي إسلامي تنظيمي أساس هو تولي المسلمين بعضهم بعضًا، قبل أن ينساق هذا المجتمع أو ذاك، أو هذه الدولة أو تلك، إلى تحالفات مع قوى أجنبية غير مسلمة تؤدي إلى وقوف بعض المسلمين ضد البعض الآخر نتيجة لتعدد الولاءات والأحلاف مع الأجانب.

وهذا المبدأ نص عليه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالنهي عن تولي غير المسلمين بما يؤدي إلى الفرقة بين المسلمين

وإلى إيجاد الشقاق والخلاف بينهم. ولا يمكن أن يبرر ذلك أي سبب أو أية ذريعة يتذرع بها هذا المجتمع أو ذاك أو هذه الدولة أو تلك، كذلك نصَّت عليه السنّة الشريفة في جملة من الأحاديث الصحيحة.

يجب أن يلاحظ أيضًا أن البحث المجرد الموضوعي من قبل علماء ومفكري وباحثي كل مذهب وطائفة لعقائد الطوائف الأخرى ومناهجها الفقهية، سيكشف للجميع على أن المساحات المشتركة واسعة جدًا. أمّا الخلافات فيمكن الوصول في كثير منها إلى نقاط وفاق، وأما ما لا يمكن الوصول فيه إلى نقاط وفاق فيترك لكلّ مذهب، بحيث يكون من خصوصيّاته ومميّزاته، ولا يُجعل ذريعة لاعتبارها أساسًا للخلاف والنزاع وإفساد العلاقات الإسلامية ـ الإسلامية.

ومن هنا فإن التنوع المذهبي الذي اعتبر عامل انقسام هو واقع قائم ضمن الوحدة، ولا يجوز علي الإطلاق الاسترسال مع هذا التنوع أو هذا الاختلاف، لأن ذلك يؤدي إلى الإخلال بوحدة الأمة باعتبارها وحدة عقائدية وتشريعية.

وإذا كان يراد بحث وقائع التنوع والاختلاف فلنبحث في الدوائر العلمية الضيقة والمتخصصة، ولا تُجعل مادة للحديث اليومي أو الموسمي.

من الأمور الأساسية التي يجب أن تُلحظ في قضية الوحدة والتقريب بين المذاهب، أن هذه الاتجاهات الفقهية في الشريعة،

والتنوعات الكلامية في تفريعات العقيدة، هي موجودة في جميع أنحاء العالم الإسلامي وبين جميع الشعوب الإسلامية، ومن النادر أن يكون هناك مجتمع إسلامي خاليًا من أي تنوع مذهبي.

لقد أشرنا في فقرة سابقة إلى أن التمذهب ظاهرة طبيعية في داخل الإسلام، ولا يمكن أبدًا فرض مذهب معين على الناس بقرار سياسي.

لقد حدث كثيرًا أن حاول بعض المتسلطين والحكام القيام بشيء من ذلك ولم يفلحوا بل انتهى الأمر بكوارث. رأينا هذا في محاولات المعتزلة لفرض رؤيتهم الكلامية، ثم رأينا المحاولات المقابلة للاعتزال، وهي محاولات أهل الحديث السلفيين، لفرض رؤيتهم الكلامية في العهد العباسي الثاني منذ عهد المتوكل.. وحدث الصراع المشؤوم الذي نعرفه.

كما حدث أن قامت محاولات كثيرة لفرض اتجاه مذهبي محدد وإلغاء المذهب الآخر أو المذاهب الأخرى، كما لاحظنا ذلك في العهد الفاطمي. قام الفاطميون في مصر بمحاولة إلغاء المذاهب الأخرى غير مذهبهم وفشلوا، ثم جاء الأيوبيون فحاولوا نفس المحاولة ضد الفاطميين، وكان بعض المذاهب مستهدفًا بصورة دائمة كما هو الشأن في مذهب الشيعة الإمامية.

وقد خلفت هذه المحاولات في الذاكرة العامة لأتباع هذا المذهب أو ذاك ذكريات أليمة كونت موقفًا نفسيًا وجدانيًا يتنافى مع ما تقضي به عقيدة الوحدة من تصور بالأخوة والانتماء

وكون المسلمين بعضهم مع بعض وبعضهم أولياء بعض.

هذه الحقيقة المرة يجب أن تثبت في وعينا جميعًا في هذا العصر، بأن الموقف السليم والاتجاه الشرعي المستقيم يقتضيان الاعتراف بكل مذهب.

وهنا تُذكر مأثرة الإمام مالك بن أنس الذي رفض عرض المنصور العباسي عليه بأن يحمل الناس على الموطّأ في القضاء والفتيا ويجعله للناس إمامًا، ولكن الإمام مالكًا رفض هذا العرض وقال: إن أصحاب رسول الله قد تفرقوا في الأمصار فحدّثوا عند أهل كل مصر حيث حلّوه، وكلٌّ مصيب.

وعلى هذا الأساس كان أئمة أهل البيت يوجِّهون المفتين من أصحابهم إلى احترام المناهج الفقهية الأخرى والإفتاء لأتباعها بما انتهت إليه من آراء فقهية.

فمن ذلك توجيه الإمام جعفر الصادق للفقيه الشيعي الإمامي أبان بن تغلب، وكان يجلس للإفتاء في المسجد النبوي: انظر إلى ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك. (الخوئي/ معجم الرجال/ ج:/١ ص:١٤٩).

إذن، علينا أن نتجه هذا الاتجاه.

لقد تحقق هذا الهدف في المذاهب الأربعة، حيث نجد غالبًا أن الاعتراف المتبادل بين هذه المذاهب هو السمة العامة الظاهرة في معظم أنحاء العالم الإسلامي، ولكننا لا نزال نواجه صعوبات في هذا الحقل بين هذا المذهب أو ذاك من هذه المذاهب أو بين جميع

هـذه المـذاهب والمـذهب الشـيعي الإمـامي الإثني عشـري أو المـذهب الزيدي، أو المذهب الإباضي، وبين كـل مـذهب مـن هـذه المـذاهب والمذاهب الأخرى.

هـذه النقطـة هـي مـا نسـتهدف الوصـول إلى حـل الإشـكال بشـأنها إلى أن يـتم الاعـتراف المتبـادل المـبني علـى الـتفهم العلمـي والـوعي الحقيقـي، لأن كـل واحـد مـن هـذه المذاهب يسـتحق علـى المذاهب الأخرى الاعتراف بإسلاميته.

الاعتراف بالمسلم أو محاولة الإلغاء ؟

والوحدة تارة تقوم على أساس وعـي حقيقـة الوحـدة والعمـل مـن أجـل التقريـب، وتـارة تقـوم علـى أسـاس الطلـب إلى الآخـر أن يلغـي نفسه أو يهذب نفسه، وتارة تقوم على أساس الاعتراف بالآخر.

الواقع أن الدعوة إلى إلغـاء الـذات ليسـت في الحقيقـة دعـوة إلـي الوحـدة، ولـن تتحقـق هـذه الوحـدة علـى الإطـلاق، ولـن يتحقـق أي تقـارب بهـذا الأسـلوب. المهـم هـو الاعـتراف بـالآخر. الاعـتراف بخصوصـيته، والاعـتراف بإسـلاميته. نفـس المـنهج الـذي تم في التقريـب بـين المـذاهب المنتميـة إلى الخـط الأشـعري، مـا يسـمى المـذاهب السـنية، يجـب أن يسـود فيمـا بـين هـذه المـذاهب وبـين المذاهب الإسلامية غير الأشعرية.

إن هذا الهدف هو أحد الأهداف الكبرى التي يجب أن ينصب عليها اهتمام المعنيين بالاجتماع الإسلامي العام.

في مجال آخر نلاحظ أن السدود الثقافية والمعرفية أو التعليمية

التي تواجه مذهبًا تجاه مذهب آخر قد بدأت تتقلص، وأن طوق العزلة الثقافية قد بدأ يتبدد وينكسر. ونحن نلاحظ بسعادة كبيرة أن التواصل الثقافي والفكري وأن التثاقف بين القيادات الفكرية والفقهية لكل المذاهب في حالة نمو وتكامل : وهذا اتجاه صحيح يؤدي إلى تعميق الشعور بالوحدة والشعور بالانتماء إلى الأمة الواحدة، ويزيل حالة الشعور بالانفصال، لا بل ينمي حالة الشعور بالتكامل.

مشكلة التبشير داخل الإسلام

والمهم أن نتجنب حالة التبشير في داخل الإسلام، ومحاولة حمل أتباع مذهب على ترك مذهبهم واتِّباع المذهب الآخر بالأسلوب التبشيري، حيث أن التكامل الثقافي لا يكون بمحاولة الاستفزاز، وإنما يكون بمحاولة الإغناء والإضافات والتكامل. ومن هنا يجب إعادة النظر في جميع المؤسسات التي تقوم على أساس فكرة التبشير والدعاية المذهبية في مقابل المذاهب الأخرى. وهذه المؤسسات، ما كان منها معلنًا بأهدافه أو مقنّعًا بشعارات خادعة ومموّهة، هذه المؤسسات تعوق بشكل مدمر نمو عوامل التقريب، وتخرب الوحدة تخريبًا عميقًا ؛ ونحن نشاهد بعض مظاهر ذلك بين الفينة والأخرى.

هيئة قضايا الوحدة والتقريب

إن هيئة قضايا الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية ستعنى

بالتواصل مع الدوائر الفقهية والفكرية في كافة المراكز الإسلامية، وفي مقدمتها الأزهر الشريف، للمشاركة بأية صيغة ممكنة في هذا الجهد الذي تقوم به هذه الهيئة.

وعلى أساس هذا الميثاق التأسيسي لهيئة الوحدة والتقريب بين المذاهب ستعمل الهيئة على إصدار مجلة عالمية بلغات حية، وفي مقدمتها اللغات الإسلامية، العربية والفارسية والتركية والأوردية، تهتم بنشر عقيدة الوحدة وأفكار التقريب بين المذاهب.

كذلك ستعمل على إنشاء هيئات تمثيلية لها في كافة المناطق في العالم الإسلامي، كما ستدعو إلى مؤتمرات بحثية عامة فيما يتعلق بقضايا الوحدة، ومؤتمرات أو ندوات ذات طابع خاص تعنى بقضايا محددة ذات أولوية وأهمية استثنائية فيما يعود إلى الوحدة الإسلامية.

إن أحد أهم مقاصد هذه الهيئة العمل من أجل الانفتاح الفقهي بين المذاهب الإسلامية على مستوى الدراسة والاجتهاد. ومن أجل ذلك ستعمل هيئة قضايا الوحدة على أن تعنى كليات الشريعة ومعاهد الدراسات العليا في العالم الإسلامي بالتدريس الجاد لكل المذاهب على قاعدة أصول الفقه المقارن، وكذلك تشجيع كل ما يمكن أن يؤدي إلى تعميق أواصر الوحدة والشعور بالانتماء وإلى اكتشاف المسلم الآخر وقبوله كما هو ومحاورته من منطلقات مشتركة بين الجميع.

الوحدة الإسلامية وقبول الآخر

غير المسلم (حوار الأديان والحضارات)

وهنا نضيف أن عناية هذه الهيئة بقضايا الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب تحمل في ثناياها توجهًا أساسيًّا على مستوى العالم وعلى مستوى الأمة الإسلامية وعلى مستوى كل وطن وكل بلد من أوطان وبلاد المسلمين، وهو أن هذه الدعوة تستبطن مبدأ قبول الآخر غير المسلم، والحوار معه، ومحاولة بناء حياة مشتركة تقوم على القيم الإيمانية الكبرى.

ويقوم هذا التوجه على أساس المبدأ الأساس العام في الإسلام في مجال الفقه السياسي، الذي صرَّح به القرآن الكريم والذي يتجلي في سورة الممتحنة ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة/٨).

أساليبُ العدوّ أعقد من أي وقت مضى وتتطلب الحذر أكثر من أي وقت آخر، والمسلمون في أرجاء العالم يجب أن ينظروا إلى هذه المسألة بعين أكثر جدًا وأن يفكروا ويعملوا من أجلها.. وهذا هو خبر الساعة.

الإمام الخامنئي

إسرائيل رمز للتفرقة والتمييز العنصري

معن منيف سليمان*

• لقد انهارت الأنظمة العنصرية ولم يبق منها إلا إسرائيل • الممارسات العملية الإسرائيلية تنطلق بأجمعها من طبيعته العنصرية • النظام العنصري الحاكم في فلسطين يستهدف التخلص من السكان العرب الأصليين وتغييبهم • الجمعية العامة للأمم المتحدة صادقت في قرارها ٣٣٧٩ أن الصهيونية حركة عنصرية • الأمم المتحدة تتجاهل إحياء ذكرى آلاف الشهداء الفلسطينيين.

إن العالم يحتفل في الحادي والعشرين من شهر آذار من كل عام باليوم العالمي للقضاء على التمييز العنصري, ففي ذلك اليوم من عام١٩٦٠ ، أطلقت شرطة نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا الرصاص على متظاهرين خرجوا في مظاهرة سلمية في مدينة شاربفيل ضد قوانين المرور المفروضة من قِبَل النظام العنصري هناك، فقتلت ٦٩ شخصًا.

وفي أعقاب هذه المجزرة، وتخليدًا لذكرى شهدائها، أعلنت

* -كاتب يمني. .

الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٦٦ المناسبةَ يومًا عالميًا، تتضافر فيه جهود دول العالم من أجل القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري.

لقد انهارت فيما بعد الأنظمة العنصرية في أفريقيا (جنوبي أفريقيا وروديسيا)، ولم يبق في أوائل القرن الحادي والعشرين من الكيانات العنصرية إلا إسرائيل التي استمرت رمزًا للتفرقة والتمييز العنصري.

لقد جاء في اتفاقية القضاء على التمييز العنصري التعريف الآتي للتمييز العنصري: «يُعرّف التمييز العنصري على أنه أي تمييز أو استثناء أو تقييد أو تفصيل، يقوم على أساس العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي، أو يستتبع تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية، أو التمتع بها أو ممارستها على قدم المساواة، في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو في أي ميدان آخر من ميادين الحياة العامة».

وفي الأدبيات الصهيونية، فإن الصهاينة يعدّون العربي، على وجه العموم، والفلسطيني على وجه الخصوص، ضمن الأغيار الذين لا ملامح لهم ولا قسمات، ويشير وعد بلفور إلى سكان فلسطين العرب على أنهم «الجماعات غير اليهودية»، فالمشروع الاستيطاني الصهيوني يقوم على التمييز الحاد، فالصهيونية تهدف إلى إنشاء كيان يهودي لا يضم أي أغيار، ومعظم المؤسسات الصهيونية «الهستدروت، والحركة التعاونية، والجامعات»، تهدف إلى ترجمة هذه العنصرية إلى واقع فعلي، كما أن فكرة «العمل العبري» تنطلق من هذا التصور.

وبعد ظهور الكيان الصهيوني، انطلق هيكله القانوني من هذا التقسيم، فقانون العودة هو قانون عودة لليهود يستبعد الأغيار من الفلسطينيين، ودستور الصندوق القومي اليهودي، يحرّم تأجير الأراضي اليهودية لغير اليهود أو حتى استخدامهم للعمل فيها، ويمتد الفصل ليشمل وزارات الصحة والإسكان والزراعة.

ومن الضروري أن يشار أيضًا إلى أن «مقولة الهوية اليهودية» في السياق الصهيوني الاستيطاني، ليست مجرد مقولة نفسية أو فلسفية أو دينية، فهي مقولة قانونية تحمل مضمونًا سياسيًا واقتصاديًا محددًا، فلليهودي في الكيان الصهيوني مزايا وحقوق معينة لا يتمتع بها غير اليهودي، كما أن ثمة وكالات ومؤسسات صهيونية عديدة يمولها يهود الخارج، وتعدّ الترجمة الفعلية والمؤسسية للمقولة هذه، فهي مؤسسات تمدّ يد المساعدة لليهود فقط، وتحجبها عن غير اليهود، وبذلك يمكن القول: إن التعريف الصهيوني لليهودية هو الأساس النظري للممارسات الصهيونية العنصرية ضد العرب، بل إن عمليات ضم الأراضي تتم تحت هذا الاسم.

وتبرز الممارسات العملية الإسرائيلية العديد من المؤشرات على الطبيعة العنصرية للكيان الصهيوني، منها أن المخصصات المالية الحكومية للمجالس المحلية اليهودية تتخطى خمسة أضعاف ميزانية المجالس المحلية العربية، كما أن المخصصات المالية لإعالة الأطفال وقروض الإسكان ونفقات الدراسة الجامعية، ترتبط جميعها بالخدمة العسكرية المقصورة على المستوطنين

الصهاينة اليهود، ودعم الحكومة لتكلفة المياه التي يستهلكها المزارعون اليهود يناهز مئة ضعف ما تمنحه للمزارعين العرب، وبينما تتاح للمهاجرين اليهود الجدد دروس جامعية بلغاتهم الأصلية، يجبر الطلاب العرب على الدراسة باللغة العبرية، وبينما يبلغ عدد الأكاديميين في الجامعات الإسرائيلية نحو عشرات آلاف، فليس بينهم إلا عدد يسير لا يتجاوز العشرة من العرب، كما أنه لا يوجد سوى عربي واحد من مجموع يتجاوز٢٤٠٠ شخص، يحتلون مراكز إدارة في الشركات التي تملكها الحكومة، وذلك على الرغم من أن العرب يمثلون عشرين بالمائة من السكان طبقًا للإحصاءات الإسرائيلية.

ولعل أقل الممارسات السياسية العنصرية ضد عرب ٤٨ ، هو ما اقترحه أحد نواب تكتل الليكود في مطلع عام ١٩٩٧ عن مشروع قانون يحظر على غير اليهود ترشيح أنفسهم لمنصب رئيس الحكومة، وهو ما يجد معارضة من بعض اليهود، لأنه عبارة عن عنصرية علنية، لن يكون في إمكان إسرائيل ككيان يهتم بشكله الديمقراطي أن تسوغها أمام العالم.

وفي هذا السياق أيضًا يجب أن يشار إلى الممارسات الإرهابية ضد المواطنين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، باتباع أساليب القتل والتعذيب، حيث يجيز القانون تعذيب المعتقلين، واتباع سياسة تكسير العظام، التي دشنها إسحق رابين، لتستخدم ضد أطفال الانتفاضة، علاوة على ذلك هناك سياسة تهويد المعالم العربية، وهدم الأقصى والمنازل، ومعاقبة السكان

بالحصار الاقتصادي، ومنع الغذاء، وأساليب الطرد والتهجير.

وقد لجأ النظام العنصري الصهيوني في إسرائيل إلى اتخاذ إجراءات قانونية للتخلص من السكان العرب الأصليين وتغييبهم، ومن هذا الأساس انطلق الهيكل القانوني لإسرائيل التي عبرت عن نفسها من خلال بنية متكاملة من القوانين العنصرية مثل ما يسمى قانون العودة الذي صدر عام١٩٥٠ ، ويمنح هذا القانون بشكل آلي جميع اليهود في العالم حق الهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، وقد جاء في القانون أن من حق كل يهودي أن يأتي إلى إسرائيل كمهاجر، وأن تمنح تأشيرة لكل يهودي يعرب عن رغبته الاستقرار في إسرائيل. وهكذا أصبح من حق أي يهودي، حتى وإن لم تطأ قدماه أرض فلسطين من قبل، أن يستقر في إسرائيل، في حين إن الفلسطيني الذي ولد ونشأ في فلسطين ويريد العودة إلى وطنه، لا يتمتع بهذا الحق وتحرم عليه العودة. ويعد قانون الجنسية قانونًا مكملاً لقانون العودة، وتمت الموافقة عليه هو الآخر عام ١٩٥٢، وينص على أن كل يهودي عائد إلى إسرائيل يصبح حكمًا مواطنًا إسرائيليًا، وقد أسقط هذا القانون الجنسية عن الشخص الذي لم يعد من سكان إسرائيل قبل نفاذ هذا القانون، وعن الشخص الذي كان مواطنًا فلسطينيًا من قبل.

وهناك قوانين أخرى مثل قوانين الطوارئ، وقانون توزيع السكان، وقوانين الأراضي، وقانون المستوطنات الزراعية، وقانون استغلال الأراضي البور، وقانون الاستيلاء على أراض في حالة الطوارئ، وقانون استملاك الأراضي، وقانون مرور الزمن،

وقانون تركيز الأراضي، وقانون الإحراج، وقانون البناء والتخطيط، وغيرها من القوانين العنصرية، وهي جميعها تهدف إلى اغتصاب الأراضي العربية وانتزاعها من مالكيها العرب وطرد هؤلاء المالكين منها.

وهكذا فإن كلمة عنصرية مصطلح يشير إلى نسق من القوانين والممارسات مبني على التمييز ويعمقه، ويمنح أفراد مجموعة بشرية بعينها عددًا من المزايا ينكرونها على الآخرين، بسبب خاصية مقصورة على هؤلاء ولا يملكها الآخرون، وفي إسرائيل، فإن هذه الخاصية هي «اليهودية».

وانطلاقًا من هذا أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ٣٣٧٩ الذي يقضي بأن الصهيونية حركة عنصرية، وهو القرار الذي ألغي عام ١٩٩١، مع تغير موازين القوى في العالم، ومازالت الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية تبذل جهودًا من أجل مناهضة العنصرية، وقد بدت هذه الجهود من خلال ميثاق الأمم المتحدة، وميثاق اليونسكو، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، واتفاقيات جنيف الأربع، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، والمفوضية السامية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، ومجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، واتفاقية القضاء على التمييز العنصري، ولجنة القضاء على التمييز العنصري، ولكن على الرغم من كل الجهود المبذولة، لاتزال إسرائيل مدعومة من أمريكا، تمارس أبشع الجرائم ضد

الفلسطينيين (غزة والضفة الغربية والقدس وتهويد القدس وهدم المسجد الأقصى).

ومن أجل تعميق الوعي العالمي بمشكلات العنصرية والتمييز العنصري، عقد في دوربان في جنوبي أفريقيا مؤتمر عالمي ضد العنصرية عام٢٠٠١ ، ليشكل مناسبة لإعادة طرح فكرة مساواة الصهيونية بالعنصرية والتمييز العنصري ، كون الاستعمار الاستيطاني عنصريًا بطبيعته، وأن مجموعة القوانين الإسرائيلية تجسد بوضوح مفاهيم العنصرية والتمييز العنصري ضد المواطنين العرب في إسرائيل نفسها، وضد الشعب العربي الفلسطيني في سائر أنحاء فلسطين وفي الجولان العربي السوري المحتل.

واتجهت المنظمات العربية في المؤتمر وبمساندة من منظمات عالمية متخصصة بالدفاع عن حقوق الإنسان، نحو السعي إلى استصدار قرار من مؤتمر دوربان يوصم إسرائيل بالعنصرية، ويعيد إحياء قرار الأمم المتحدة السابق ٣٣٧٩ الذي يثبت أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، ويدعو المجتمع الدولي إلى اتخاذ تدابير عملية لتصفية آخر معاقل العنصرية الصهيونية ونظام الفصل العنصري الذي تعيد إسرائيل إحياءه.

وكانت سورية أكدت على فكرة قرن الصهيونية بالعنصرية، وممارسات إسرائيل العنصرية ضد الشعب الفلسطيني وفي سائر الأراضي العربية المحتلة، وهذا ما شدد عليه خطاب وزير الخارجية السوري أمام المؤتمر آنف الذكر، بتأكيده أن مسألة العنصرية في إسرائيل لم تكن قط مسألة نيات فحسب، وإنما كانت، منذ

البداية، حتى الآن ممارسات تنظمها قوانين وتشريعات عنصرية.

وعندما عقد مؤتمر لمناهضة العنصرية في جنيف عام ٢٠٠٨ ، عرف باسم مؤتمر دوربان الثاني، كانت الرابطة السورية للأمم المتحدة قد حملت راية المطالبة بإعادة إحياء القرار الأممي ٣٣٧٩ ، وتبنى منتدى بيروت العالمي في ٢٠٠٩ فكرة الرابطة السورية للأمم المتحدة، وطالب بضرورة إعادة إحياء القرار، وشكل لجنة لهذا الغرض، قامت بعقد عدة ندوات في دمشق.

لقد خلد اليوم العالمي لمناهضة العنصرية والتمييز العنصري الذين سقطوا في مدينة شاربفيل برصاص شرطة النظام العنصري البائد في جنوبي أفريقيا، في حين تتجاهل الأمم المتحدة إحياء ذكرى مئات بل آلاف الشهداء من الفلسطينيين والعرب الذين سقطوا نتيجة المجازر الصهيونية والممارسات العنصرية، تلك الممارسات التي قام بها الإرهاب الصهيوني منذ أن أصدرت عصبة الأمم صك الانتداب على فلسطين عام ١٩٢٢ ، وهو الصك الذي يخالف القانون الدولي لأنه لا يعترف بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني، وصولاً إلى العدوان الإرهابي الصهيوني العنصري على لبنان عام ٢٠٠٦ ، وعلى غزة عام ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩، والحصار الجائر المفروض والمستمر على غزة الذي يشكل انتهاكًا لحقوق الإنسان، ما يقدم أرضية صالحة لإعادة إحياء القرار الأممي الذي يؤكد أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري طبقًا لميثاق الأمم المتحدة والاتفاقيات الخاصة بتعريف العنصرية.

التقريب بين المذاهب الإسلامية

في ظل إطار جديد

أحمد كمال أبو المجد*

• معرفة الواقع يكوّن نصف الفقه ونصف أدوات الاجتهاد • إن الحواجز بين الناس والشعوب قد تهاوت • لقد زالت الحجب والسُتُر التي تصوّر لنا إمكان العيش في حوزة ثقافية مغلقة • بسقوط المعسكر الاشتراكي انفرد قطب دولي وأعطى لنفسه حق التدخل في شؤون الآخرين • من عجب أن ينتبه المسلمون إلى التواصل مع الحضارات المعاصرة وألاّ يصاحب ذلك حوار إسلامي - إسلامي • مصطلح السلفية فضفاض تلتقي تحت رايته روافد بينهما اختلاف كبير

الدعوة إلى التقريب بين المسلمين فيما اختلفت فيه مذاهبهم ومدارسهم الفكرية والاعتقادية والفقهية ليست أمرًا طارئًا ولا هي أمر جديد. فمنذ تجمعت حول المذاهب المختلفة جماعات

* -مفكر إسلامي مصرى .

مختلفة من المسلمين، ينحاز كل جمع منها إلى مذهبه، ولا يكاد يرى الحق والصواب إلا فيه، ولا يكاد يرى حقًا ولا صوابًا في مذاهب الآخرين وحوزاتهم التي انحازًا إليها. منذ وقع ذلك بدأ علماء الأمة وحكماؤها يشفقون أشد الإشفاق من عواقب هذا التفريق. مدركين أن الاختلاف في الرؤية والرأي قد يكون رحمة ونعمة، حين يلتزم أصحابه منهجًا علميًا وأخلاقيًا صارمًا في التعامل معه، وفي إدارة الحوا ر«بالتي هي أحسن» حول مواضع ذلك الاختلاف. ولكنه ينقلب إلى«نقمة» تنذر بأخطار جسيمة على الأمة كلها حين تزايله روح السماحة والعدل، وتختلف عنه الموضوعية، وتستولي على أطرافه شهوة التغلب على الآخرين. حينئذ يوشك الأمر أن يؤول إلى الحال التي وصفها سبحانه بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وهذه البراءة الإلهية والنبوية من الذين فرقوا دينهم لم تأت إلا بعد قيام الحجة على الأمة، خاصتها وعامتها، أمراؤها وعلماؤها، بقوله تعالى لهم جميعا: ﴿ولاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وإذا كان صحيحًا أن العلماء المحققين والعارفين المخلصين قد تنادوا بالدعوة إلى التقريب منذ بواكير التاريخ الإسلامي. فإن اللقاء الذي يتم هذه الأيام تجديدًا لهذه الدعوة، وسعيًا للوصول بها إلى نتائج عملية تجني الأمة ثمراتها الطيبة. هذا اللقاء يتم في إطار ملابسات جديدة تمامًا. يتصل بعضها بعالمنا الإسلامي والعربي. كما يتصل بعضها الآخر بالأوضاع العالمية التي تحيط بالناس

جميعًا ، مسلمين وغير مسلمين.

لذلك لا يستغني علماء الأمة وخبراؤها عن الإحاطة الدقيقة بعناصر هذا الواقع الجديد ، كما لا يستغني عن استشراف صورة مستقبل الأمة وسط طوفان الحركة السريعة التي انتابت كثيرًا من عناصر الواقع داخل العالم الإسلامي وخارجه ، مما كان يعتبر ـ في نظر كثير من الباحثين والدارسين ـ من الثوابت التي يفترض استمرارها في الوجود عشرات أو مئات أخرى من السنين ، وما أظن أننا نجاوز حد الاعتدال في محاولة تشخيص الأزمة والخروج من نفقها المظلم إذا نحن ذكرنا من بين هذه الأسباب قصور كثير من العلماء والساسة عن إدراك مدى التغير الذي طرأ على العالم من حولنا ، والاستمرار في محاولة الخروج من الأزمة باتباع مناهج العمل وأساليبه التي كانت صالحة لتحقيق هذا الهدف في أزمان قديمة ، ولكنها لم تعد صالحة لذلك في ظل ماطرأ على كثير من عناصر الواقع من تغيرات كبيرة عظيمة الأثر على مجمل علاقات القوى داخل المجتمعات الإسلامية ذاتها ، وفي علاقة تلك المجتمعات بالدنيا من حولها. إن التوجه لتحقيق التقريب بين الأفكار والمذاهب والمدارس العلمية والفقهية في زماننا ـ محتاج إلى اجتهاد جديد وفق منهج علمي سديد. وهل يكتمل الاجتهاد بغير معرفة الحق، ومعرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر كما كان يقول ابن قيم الجوزية.

إن المعرفة الدقيقة بعناصر«الواقع» والإحاطة باتجاه حركة

التغيير، الذي طرأ ولا يزال يطرأ على تلك العناصر قد صار يكوّن ــ فيما نرى ــ أكثر من نصف«الفقه» ونصف أدوات«الاجتهاد» المنشود.

إننا نعيش عصرًا جديدًا بكل المعايير، وليس صحيحًا ما يحتج به البعض من أن أهل كل عصر يرونه جديدًا، ويرونه فاصلاً بين مرحلتين مختلفتين. ذلك أن عصرنا هذا قد شهد خلال نصف القرن الأخير ثورات وقفزات علمية هائلة متعاقبة ومتراكبة في ميادين الانتقال والاتصال والمعلومات، وميادين أخرى عديدة من ميادين العلم والصنعة وأدوات الحرب والقتال، ترتب عليها أمران خطيران:

أولهما: أن الحواجز بين الناس والشعوب قد تهاوت، بعد أن طوى العلم المسافات، فالتقى ماء الحضارات المختلفة على أمر قد قُدر. ولم تعد عُزلة البعض عن البعض ممكنة، حتى لو كانت في نظر البعض جائرة أو نافعة، وصار أبناء الثقافات المختلفة يواجه بعضهم بعضًا بلا حاجز ولا وسيط، وبدأ الناس يتساءلون في إشفاق وتوجس: أيكون هذا اللقاء لقاء تعاون على البر والخير وما ينفع الناس، كل الناس أم يكون لقاء عداوة وصراع ومحاولات ضارية للاستئثار بخيرات الدنيا وثمرات العلم، استئثارًا يستعبد به الآخرون، كل الآخرين؟. لقد زالت الحجب والستر التي كانت تزين لنا ــ نحن المسلمين ــ أن في وسعنا أن نقضي عمرنا كله، وعمر أجيالنا من بعدنا، في حوزة ثقافية مغلقة لا

يدخلها علينا أحد إلا برضانا وإذننا. وصار علينا ـ فجأة ـ أن نواجه طوفانًا من«الوافدين»، ناسًا من الناس، وأفكارًا غير أفكارنا، وقيمًا غير القيم التي أقمنا عليها حياتنا كلها، وأدرنا بها شؤوننا كلها. لقد صار علينا اليوم ـ نحن المسلمين ـ أن نتذكر من جديد ما علمه الإسلام للمؤمنين به من أول يوم، من أنهم ليسوا وحدهم في هذه الدنيا، وأن تعدد الأجناس والألوان، واختلاف الألسنة والعقائد والأفكار سنة من سنن الله من خلقه وناموس من نواميسه في هذا الكون. وأنه سبحانه أراد بهذا التنوع أن يتبادل الناس الخبرة، وأن يتعاونوا على البر والخير، متسابقين إلى ذلك، ومتنافسين فيه ﴿ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾ (المائدة: ٤٨).

ثانيًا: أن انهيارًا حادًا ومفاجئًا قد وقع في التوازن الدولي مع بداية العقد الأخير من القرن الماضي. وذلك بسقوط ماكان يسمى المعسكر الاشتراكي الذي كان ـ بغض النظر عن محتواه الأيديولوجي وناظمه السياسي والاقتصادي ـ يحقق توازنًا في العلاقات الدولية تستفيد منه الدول النامية والصغيرة. وبانهيار ذلك المعسكر انفرد القطب الدولي الأخير بموضع الصدارة والقيادة والقدرة على التأثير المباشر على العلاقات الدولية، مانحًا نفسه حق التدخل في شؤون الآخرين، وفرض هيمنتهم عليهم وعلى قراراتهم السياسية والاقتصادية والثقافية. ولقد تمكن هذا القطب الواحد ـ حتى الآن ـ من فرض هيمنته هذه بما كان قد

توفر له، من تقدم علمي وتقني هائل، وقوة اقتصادية ضخمة، وآلة عسكرية بالغة التقدم والتفوق.

وإذا كان جائزًا ـ وهو في الحقيقة غير جائز ـ أن يشتغل المسلمون بخلافاتهم التاريخية والجديدة في ظل النظام الدولي القديم، وفي ظل إمكان الانسحاب إلى حوزة مغلقة تعفيهم ـ في ظنهم ـ من التواصل النشط مع غيرهم من الأمم والشعوب، فإن الاستمرار في هذا«الشقاق» الثقافي والسياسي قد أصبح خطيئة كبرى بكل المعايير، لا يحمل عامة المسلمين إثمها، وإنما يحمله الأمراء والساسة والعلماء.

ومن عجب أن ينتبه كثير من علماء المسلمين وساستهم إلى ضرورة التواصل مع أبناء الحضارات المعاصرة، ساعين إلى تضييق شقة الخلاف بين المسلمين ومَنْ عداهم، وألا يصاحب ذلك بل يسبقه سعي مماثل لحوار إسلامي إسلامي، يهدف إلى تضييق شقة الاختلاف بين فئات المسلمين وطوائفهم ومذاهبهم ومدارسهم الفكرية المختلفة.

ومما يدهشنا ويؤسفنا أن كثيرًا من الباحثين يتجنبون ـ في هذا المقام ـ الخوض في المشاكل الحقيقية ذات الوزن، إشفاقًا على أنفسهم من عواقب التعرض لها. مكتفين بالدعوة العامة إلى جمع الكلمة، أو بتناول قضايا تظل ثانوية القيمة والأثر إلى جانب المشاكل الحقيقية الكبرى. ولاشك عندنا في أن أكبر خلافين يتوزعان المسلمين ـ في عصرنا هذا ـ ويبدّدان طاقة الأمة هما

الخلاف العقائدي والمذهبي بين السنة والشيعة. والاختلاف الفقهي بين مدرسة في الفقه تلتزم حرفية النصوص وتتشدد في تطبيقها ويطلق الناس عليها، وعلى روافدها المختلفة اسمًا واحدًا لا يكشف عن المضامين والرؤى والمناهج التي تقوم عليها تلك المدرسة، وأعني بذلك مصطلح السلفية الذي يعني في مجال العقيدة وأصول الدين شيئًا، ويعني في ميدان الفقه وأصوله شيئًا آخر، فضلا عن أنه مصطلح واسع فضفاض تلتقي تحت رايته روافد عديدة بينها من الاختلاف في المنهج المضمون ما لا يفيد معه البتة جمعها تحت مصطلح واحد.

ومدرسة أخرى تبحث عن الغايات الكلية والمقاصد الكبرى للتشريع، كما تبحث عن أدوات للاجتهاد تعين على تحقيق المصالح المتجددة للأفراد والجماعات، انتباهًا إلى أن الفتوى لا تكون محققة لتلك المصالح إلا إذا أدخلت في حسابها اختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال. وأن الغفلة عن مقاصد الشريعة ومصالح المخاطبين بها مفضية لا محالة إلى وقوع العنف والحرب اللذين يجافيان روح التيسير التي قام عليها الإسلام كله ﴿ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

المثقفون والبحث عن البدئيات

زكي الميلاد*

• تشترك مقولات «في البدء» في البحث عن نقطة البداية في مجال الثقافة • لا تكشف هذه المقولات غالبًا عن حكمة دقيقة تقف وراءها • هذه الكتابات أشارت إلى التأكيد على أهمية الثقافة • من القرآن نفهم أن في البدء كانت الثقافة.

- ١ -

المثقفون والبدئيات

من الظواهر التي تلفت الانتباه في المجال الثقافي العربي، الحديث المتواصل عن البدئيات التي انشغل بها بعض الكتاب والمثقفين، في دراسة وتحليل بعض القضايا والمشكلات النظرية والعملية، وفي نطاق أبعاد وميادين مختلفة، وبالشكل الذي يصدق عليها وصف الظاهرة بعد ما تزايد الحديث عنها بصورة متواترة ومتراكمة.

الأمر الذي يستدعي النظر في هذه الظاهرة، والتأمل فيها،

* - باحث ومفكر من المملكة العربية السعودية رئيس تحرير مجلة «الكلمة».

فحصًا وتحليلاً، وتفكيكًا وتركيبًا، للكشف عن طبيعتها وبنيتها، سياقاتها وأرضياتها، علائقها وارتباطاتها.

وقد أبرز بعض الكتاب هذه البدئيات في عناوين مؤلفات لهم، في إشارة منهم للفت الانتباه لهذه البدئيات، بوصفها مقولات تفسيرية أو مفتاحية، أو بوصفها مقولات لها من الدلالات والمعاني، ومن الإشارات والرموز، تجعلها في الواجهة والصدارة، وعلى كل حال فإن هذه الظاهرة لا تخلو من مغزى ظاهر أو خفي.

ومن هذه المؤلفات، ما نشره الدكتور خلدون النقيب في كتاب صدر له سنة ١٩٩٧م، بعنوان: *في البدء كان الصراع.. جدلية الدين والاثنية، الأمة والطبقة عند العرب*، حاول فيه تحديد مكانة المجتمع العربي في السياقات التاريخية، وموقعه من العالم المحيط به، والكشف عن مصادر الصراع بين قوى المجتمع الذاتية واشتباك مصالحها مع المجتمعات والجماعات الأخرى المحيطة به أو المتصارعة معه.

ومنها ما نشره الدكتور عبدالإله بلقزيز في كتاب صدر له سنة ١٩٩٨م، بعنوان: *في البدء كانت الثقافة.. نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية*، تناول فيه أهمية الثقافة، وضرورة تنمية الوعي بالمسألة الثقافية، ودعوة المثقف إلى إعادة بناء تصور جديد لدوره في المجتمع العربي.

ومنها كذلك، ما نشره الدكتور عبد المجيد الصغير في كتاب صدر له سنة ١٩٩٩م، بعنوان: *في البدء كانت السياسة..*

إشكالية التأصيل للنهضة والديمقراطية في المجتمع المغربي، إلى غير ذلك من مؤلفات صدرت أو سوف تصدر.

أما على مستوى الكتابات والمقالات القصيرة والطويلة، فهناك ما لا يحصى منها، وتعددت فيها البدئيات وتنوعت إلى قضايا وعناوين عديدة ومختلفة، منها التي اعتبرت أن في البدء كانت الأمة، أو في البدء كانت القبيلة، ومنها التي اعتبرت أن في البدء كان الإنسان، أو في البدء كان الفرد، ومنها التي اعتبرت أن في البدء كان الحوار، أو في البدء كان المفهوم.. إلى غير ذلك من قضايا وعناوين لا حصر لها.

وعند النظر في هذه الظاهرة فحصًا وتحليلاً، يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

أولاً: هناك جانب اشتراك في هذه الظاهرة، وجانب افتراق، اشتراك في طريقة صياغة هذه المقولة والتمسك بها، وافتراق في طبيعة العناوين والقضايا. وفي كلا هذين الجانبين يتكشف المنطق الداخلي لهذه الظاهرة. ففي جانب الاشتراك يتحدد هذا المنطق في النزوع إلى الوراء، والرجوع إلى الخلف، بحثًا عن نقطة البدء التي ينطلق منها، وكأن الزمن سبقنا ونحاول البحث عن نقطة اللحاق به، أو كأننا خرجنا من التاريخ وبقينا نفتش عن اللحظة التي ننطلق منها للعودة إليه، فالبدئيات هي عودة إلى الوراء، وعودة الزمن إلى الخلف.

وفي جانب الافتراق، يتحدد هذا المنطق في تعدد العناوين

والقضايا التي ترتكز على حالة من الأحادية والنهائية، وذلك بالاستناد إلى العامل الواحد في تفسير وتحليل الظواهر والقضايا، وإعطاء هذا العامل صفة النهائية بمعنى التوقف والانتهاء عند ذلك العامل الواحد الذي يشكل نقطة البدء.

ثانيًا: تكشف هذه المقولات عن إرباك واضح في صياغة وبناء المفهوم في مجالنا الثقافي، فهذه المقولات تحيل إلى كل شيء، وكأن البدء يتحدد من كل شيء، من الثقافة والسياسة والتربية، ومن الفرد والإنسان والمجتمع والأمة، ومن الحوار والصراع إلى نهاية القائمة التي تطول ولا تقصر، وبهذه الطريقة تتعقد وقد تضيع نقطة البدء، أو يصعب اكتشافها والاتفاق عليها، وبالتالي الانطلاق منها.

ثالثًا: يختل في هذه المقولات عنصر الزمن الذي يتعدد ويختلف في كل واحدة منها، فمقولة في البدء كان الحوار ترجع بالزمن إلى ما قبل الإنسان وذلك على خلفية أن الحوار بدأ بين الله سبحانه وتعالى والملائكة حول آدم قبل خلقه، ومقولة في البدء كان الإنسان ترجع بالزمن إلى خلق آدم أبي البشرية، ومقولة في البدء كان الصراع ترجع إلى زمن ما بعد آدم وحواء حين قتل قابيل أخاه هابيل، وهكذا في المقولات الأخرى الأمر الذي يعني أن هناك مسافات زمنية شاسعة تفصل بين هذه المقولات بشكل يختل فيها عنصر الزمن.

رابعًا: العديد من هذه المقولات يظهر عليها التساهل والتسامح

المألوف عند أهل اللغة، ويتجلى فيها اقتفاء أثر الآخرين في هذا الشأن، أو الإعجاب بهذه الطريقة في صياغة الأفكار، وفي التعبير عنها، وفي أكثر الأحيان لا تكشف هذه المقولات عن حكمة دقيقة تقف وراءها، ولا عن قوة في المعنى، أو عمق في الدلالة، بخلاف بعض المقولات الأخرى، أو المقولات التي كشف أصحابها عن خلفية تعبّر عن حكمة متجلية، فحينما سئل الروائي والأديب السوداني الطيب صالح لماذا كل أعمالك تنطلق من القرية وتدور أحداثها حولها؟ أجاب بالقول: في البدء كانت القرية، وعلى الأديب العبقري أن يبدأ من عالمه الصغير، وإذا نجح في مخاطبة عالمه الصغير، فإنه يكون بمثابة من نجح في مخاطبة العالم بأكمله.

- ٢ -

في البدء كانت الثقافة

من البدئيات التي تحدّث عنها المثقفون في المجال العربي، تلك البدئيات التي تتصل بالثقافة، وفي هذا الشأن جاء كتاب الدكتور عبدالإله بلقزيز *في البدء كانت الثقافة.. نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية* الصادر سنة ١٩٩٨م، وفي هذا الشأن أيضًا افتتح الدكتور يحيى اليحياوي كتابه *كونية الاتصال، عولمة الثقافة.. شبكات الارتباط والممانعة* الصادر سنة ٢٠٠٥م، بمقدمة حملت عنوان *في البدء كانت الثقافة*، إلى جانب كتابات

أخرى صدرت وستصدر قطعًا، وهي تشير إلى هذه المقولة، وتصوّب النظر إليها.

هذه الكتابات أشارت إلى هذه المقولة في سياق التأكيد العام على أهمية وقيمة وحكمة الثقافة في الماضي والحاضر والمستقبل، وبالنظر إلى كافة الأمم والمجتمعات الإنسانية على تنوع وتعدد دياناتها ومذاهبها، لغاتها ولسانها، تاريخها وجغرافياتها، تمدنها وعمرانها.

ولا ريب أن هذا القدر من العناية بالثقافة يلفت النظر، ويقرب الاهتمام لهذه المقولة، ويجعلها في دائرة الضوء دائمًا، ويكون تذكرها ممكنًا، الأمر الذي يفسِّر إمكانية تجدد الكتابات التي تحوم حول هذه المقولة، وترتكز عليها، وتنطلق منها، وتتطبع بها.

أهمية هذه المقولة، وإمكانية تواتر الرجوع إليها يستدعي التوقف عندها، والتبصر فيها فحصًا واستكشافًا، والتثبت من صدقيتها.

فهل فعلاً في البدء كانت الثقافة؟ أم أنها مجرد مقولة تلفت النظر إلى أهمية الثقافة لا غير؟ وهي الأهمية الثابتة والجازمة التي لا يختلف ولا يجادل عليها أحد مهما كانت ثقافته التي ينتمي إليها؟

عند التحقق في هذه المقولة، وجدت أن من الممكن التثبت من صدقيتها، وذلك بلحاظ أمرين، يثبتان بشكل جازم وقاطع صحة

هذه المقولة وصدقيتها، وهما:

الأمر الأول: له علاقة بالإنسان، ويتصل ببداية نشأته وخلقه ووجوده، وذلك حين حين أخبر الله سبحانه الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة، وميّزه وشرفه بقوله ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ ، وهي الآية التي عرفت الإنسان بالعلم، ومن جهة علاقته بالعلم، ويفهم منها أن الإنسان كائن عالم وعاقل من حيث الطبيعة، بمعنى أنه مزود بقابلية حيويته على التعلم واكتساب العلم وتجدده وتراكمه وتوارثه.

وحين توقف المفسرون المعاصرون أمام كلمة الأسماء كلها وماذا تعني، اعتبر بعضهم أن المقصود منها هو قابلية التعلم عند الإنسان، وأشار إلى هذا المعنى الشيخ محمد عبده في *تفسير المنار*، بقوله: إن الأسماء كلها تشير إلى القوة العلمية التي هي عامة للنوع الآدمي كله، ولا يلزم من ذلك في نظره أن يعرف أبناؤه الأسماء من أول يوم، ويكفي في ثبوت هذه القوة لهم، معرفة الأشياء بالبحث والاستدلال.

وحسب هذه الآية، فإن هذا الكائن الآدمي وجد خلقًا ووجودًا بعد أن علم الأسماء كلها، وعلى قاعدة الأسماء كلها جاز القول إن في البدء كانت الثقافة، لأن الثقافة ليست شيئًا خارجًا عن نطاق الأسماء كلها، أو بعيدة عنها، أو لا تمت لها بصلة، وإنما هي في صلبها وصميمها.

الأمر الثاني: له علاقة بالكتاب المجيد الذي أنزله الله

سبحانه للناس كافة، وفيه تبيانًا لكل شيء، وصرف الله فيه للناس من كل مثل، ويتصل هذا الأمر بأول آية نزلت من الذكر الحكيم وهي آية ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، التي جاءت لنفي الجهل، والتأكيد على طلب العلم، الذي تحوَّل في الإسلام إلى فريضة على كل مسلم ومسلمة.

ومن هذه الآية يمكن البرهنة على أن في البدء كانت الثقافة، لأن الثقافة بالتأكيد ليست شيئًا خارجًا عن خطاب (اقرأ)، أو بعيدة عنه، أو لا تمت له بصلة، فالثقافة تبدأ باقرأ ولا تبدأ بغيرها.

وإذا أخذنا الثقافة بمعنى إصلاح الذهن، وتنمية الملكات الفطرية، وتهذيب القدرات الفكرية، فلا شك أن هذا المعنى وثيق الصلة بـ(اقرأ)، التي تفيد الأمر بالقراءة من جهة، والاستمرار على هذا الأمر من جهة أخرى، وإصلاح الذهن إنما يتحقق بالقراءة والاستمرار عليها، وبهذا الفعل أيضًا تتحقق تنمية الملكات الفطرية، وتهذيب القدرات الفكرية.

وبهذين الأمرين تثبت صدقية مقولة (**في البدء كانت الثقافة**)، وبالتالي لابد من البدء منها فعلاً.

والقصد من هذا التثبت إعطاء قوة المعنى لهذه المقولة الحيوية، وتكثيف حقلها الدلالي بالمعاني والرموز والإشارات، والتعاطي معها بوصفها مقولة يمكن البرهنة عليها، وتحريرها من كونها مجرد مقولة مرسلة لا ترتبط بسياق معين، ولا تتصل بحقائق ووقائع مثبتة وجازمة.

المقاومة في الأدب الفارسي

• من أهم مظاهر المقاومة في أدب سعدي بثّ المفاهيم الإنسانية • سعدي يحاول إنقاذ النفس الإنسانية من الهبوط • دعوة حافظ الشيرازي إلى العشق هي دعوة إلى الحياة • محور الخطاب المقاوم لجلال الدين الرومي يتمثل في دعوة الإنسان إلى الحركة نحو المطلق • العرفان الحقيقي هو أن يعرف الإنسان نفسه وموقعه من الكون والحياة والخالق وأخيه الإنسان.

العرفان (أو التصوف) تيار جمع في تاريخ الإسلام بين تطهير النفس وتطهير المجتمع، ولذلك حارب كلّ ما يدنّس النفس يدنّس المجتمع، وبذلك تبرز طبيعته المقاومة. ونقف عند المقاومة لدى ثلاثة من أدباء العرفان الايرانيين.

المقاومة عند سعدي الشيرازي

مشرف الدين مصلح بن عبدالله سعدي الشيرازي (٦٠٦ – ٦٩١هـ) من نوابغ الشعر والأدب في إيران.

في عصره تكالبت الظروف السيئة على العالم الإسلامي لتؤدي إلى هجوم المغول وسقوط الخلافة العباسيّة. وما كان هجوم المغول إلاّ بعد أن توفّرت في المسلمين

قابليّة الغزو، فقد تفشّت أمراض النزاعات الداخلية والجهل، وأدى كل ذلك إلى غياب الأهداف الكبرى والمثل العليا في المجتمع، وما ينجم عن ذلك عادة من حرص وطمع وذلّ واختلال في القيم.

سعدي الشيرازي رأى ما رآه غيره من أمراض عصره، ولكنه لم يقف أمامها موقف الخاضع المستسلم الذي يبررها بأسباب غيبية ويعزوها إلى القضاء والقدر، بل نظر إليها نظر طبيب قادر على أن يشخص أسباب هذه الأمراض ويهبّ لمقاومتها ..

من أهم محاور مقاومته هو بثّ المفاهيم الإنسانية التي تدعو إلى أن المجتمع الإنساني جسدٌ واحد. وأشعاره في هذا المجال معروفة منها هذه الأبيات المترجمة إلى العربية نظمًا:

بنو آدم جسدٌ واحدُ ... إلى عنصر واحدٍ عائدُ
إذا مسّ عضوًا أليم السقام ... فسائر أعضائه لا تنام
إذا أنت للناسِ لم تألمِ ... فكيف تسميت بالآدمي؟

ومن مظاهر المقاومة في أدب سعدي الشيرازي اهتمامه بالدعوة إلى العزّة وإلى عدم التذلّل من أجل حطام الدنيا.

سعدي بكتاب *گلستان* يخاطب النفس الإنسانية بأساليب مختلفة لينتشلها من وهدة الهبوط ويرفعها إلى الارتباط بالكون الفسيح وخالقه.

يقول في الباب السابع: «سمعت أحدًا من الشيوخ المربين كان يقول لمريد: أي بني! لو كان ارتباط ابن آدم بالرازق بقدر ارتباطه

بالرزق لارتقى على الملائكة في المقام».

وفي هذا المضمار ينشد أحيانًا بيتًا بالعربية فيقول:

بئس المطاعم حينَ الذلِ يكسبها

القِدر منتصب والقَدرُ مخفوضُ

وأحيانًا ينشد بيتًا بالفارسية يقول:

هركه نان از عرق خويش خورد

منّت از حاتـــم طائـــى نبرد

أي: «كل من يأكل الخبز من عمله / لا يتحمل المنّة من حاتم الطائي».

وأحيانًا ينشد قطعة شعرية يقول:

«إذا أردت الغنى، لا تطلب غير القناعة / فإنها دولة هنيّة/ إذا نثر الغني الذهب بحجره / فحذار أن تنظر إلى نواله/ فقد سمعت كثيرًا من الأكابر (يقولون) / إن صبر الفقير خير من بذل الغني».

وفي كتابه *بوستان* خصص بابًا للقناعة يدعو إليه بقوله مثلاً:

- «اقنعي أيتها النفس بالقليل / حتى تري السلطان والفقير متساويين».

- «وابغ جوفًا طاهرًا أينما تذهب / فإن البطن لن يملأه إلا التراب».

- «والنفس الأمارة تُحيل المرء ذليلاً / فلا تطعها إن كنت عاقلاً».

وفي قطعاته الشعرية يكثر من التأكيد على عزّة النفس، وفي

إحداها يصوّر أصدقاءه يقولون له:

«لماذا أنت يا سعدي لا تتحرك للحصول على المال والمتاع؟ / فأنت تتربع على عرش الشعر، فلماذا تعيش كما يعيش المرتاضون؟/ لو مدحتَ قليلاً فستنال الحظوة/ وصاحب الفن إن كان معدمًا فهو مغبون، ولا يقدر أن يكسب ودّ الإخوان».

ثم يجيبهم: «لا أستطيع أن أرفع حاجتي إلى هذا المالك وذاك الثري/ فهذا من فعل المتكدين/ لو طُلب مني أن آخذ إبرة من اللئام/ لتحولت هذه الإبرة إلى إبر على جلدي مثل القنفذ/ لقد قلتَ: إن رضا الصديق لا يتيسّر إلا بالمال/ وهذا أيضًا خلاف المعرفة والرأي الصحيح/ فألف كنز ثمين يعادل حبّة من الفن/ والمنّة بعد ذلك على المعطي، والحيف عَلَيّ».

وهذه القطعة الشعرية تذكّرنا بأديب إيراني آخر هو علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٦٦هـ)، فقد دعا جميع ذوي القلم والفن أن يحافظوا على شرف علمهم إذ قال:

يقولون لي: فيك انقباضٌ وإنما
رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
إذا قيل: هذا مَنْهَلٌ قلتُ: قد أرى
ولكنّ نفسَ الحرّ تحتمل الظمَا
ولم أقضِ حقّ العلم إن كان كلما
بدا طمعٌ صَيّرتُه لِيَ سُلّما

ولم أبتـذل في خدمـة العلـم مُهجـتي

لأخْـــدُمَ مَـنْ لاقيـتُ لكـــنْ لأَخـدَما

أأشـقى بـه غرْسًـا وأجنيـــــه ذِلّـة

إذن فاتـباع الجهـل قـد كـان أحزَمـا

ولـو أن أهـل العلـم صـانوه صـانهم

ولـــــو عظّمـــوه في النفـــوس لعُظّمـــا

ولكـــن أهـــانوه فـــهانَ ودنّســـــــوا

مـــحيـــّاه بالأطمـــاعِ حتـــى تجهّمـــا

ومـن مظـاهر المقاومـة في أدب سـعدي الشـيرازي المحافظـة علـى الوجدان الشـعوري للأمـة كـي لاتصـاب بالجفـاف واليبـاب والمـوت. سعدي سعى فيما سعى إلى أن يستثير الذوق الجمالي الفطري في مجتمعه، الذي تكالبت عليه ظروف سحق هذا الذوق وإماتته، بفعل الأوضاع الاجتماعية السيئة.

هـو أولا يكـرّر الـدعوة إلى التأمـل في مظـاهر الطبيعـة ومافيهـا مـن جـلال وجمـال وأسـرار، وإلى التعمّـق بمـا وراء الظـواهر مـن علاقات تربط كل الكون بهدف تكاملي واحد. يقول:

بذكرش هرچه بيني در خروش است

دلي داند درين معني كه گـوش اسـت

نه بلبل بر گلـش تسـبيح خوانيسـت

كه هر خـاري بتسـبيحش زبانيســـت

أي: «كل ماتراه يموج بذكره/ لا يفهم ذلك إلا القلب السميع/ ليس البلبل فحسب يسبّح على وردته/ بل كل شوكةٍ لسانٌ ينطق بتسبيحه».

والقلب الذي يستطيع أن يتفهّم حقائق الأشياء هو القلب الذي يخفق بالعشق لا القلب المتبلّد الجامد. كلّ مظاهر الطبيعة تدعو الإنسان إلى أن ينفتح قلبه وينصقل ذوقه، بل لقد عُرِف عند العرب عن الجَمَل بأنه يطرب للصوت الجميل، فما بال الإنسان لا يهزّه الجمال؟!

يقول سعدي:

داني چه گفت مرا آن بلبل سحرى؟

تو خود چه آدمي كز عشق بي خبري

اشتر بشعر عرب در حالتست وطرب

گر ذوق نيست ترا كژ طبع جانوري

أي: «أتدري ماذا قال لي البلبل في السحر؟ / أي إنسان أنت يامن لا معرفة لك بالعشق؟!/ الجمل في الشعر العربي له ذوق وطرب/ وإذا لم يكن لك ذوق فأنت حيوان معوجّ الطبع».

ثم يردف سعدي هذين البيتين ببيت عربي فيقول:

وعند هبوب الناشرات على الحمى

تميل غصون البان لا الحجر الصلد

يضع سعدي مواصفات للعاشقين منها أنهم لا يملّون الطلب

والبحث للوصول إلى الجمال، يقول:

چـو يعقـوبم ار ديـده گـردد سـپيد
نبـــردم ز ديـــدار يوســـف اميـــد
طلبكـار بايـد صـبور وحمـــــول
كـــه نشـــنيده ام كيميـــاگر ملـــول
چـه زرهـا بخـاک سـيه در كنـــــد
كـه باشـد كـه روزي مسـي زر كنـد

أي: «فلئن ابيضّت عيناي، كما ابيضّت عينا يعقوب / فلن أقطع الأمل، من رؤية يوسف/ ولابدّ للطالب أن يكون صبورًا قادرًا على التحمّل / إذ لم يُسمع أن كيماويًا (ساعيًا للحصول على الذهب من معادن أخرى) أصبح ملولاً / فما أكثر ما ينفقه من مال وذهب / لعلّه يومًا يستطيع أن يحوّل النحاس إلى ذهب!».

ومن صفات العاشقين أنهم يشعرون ـ رغم ثقل أعباء العشق ـ بالبهجة والسرور والحبور.

وسعدي مبتهج دائمًا، لأنه يعيش في عالم مبتهج بخالقه، وسعدي عاشق لكل العالم، لأن كل العالم من فيض المحبوب. يقول:

بجهان خرّم از آنم كه جهان خرّم از اوست
عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از اوست

أي: «أنا مبتهج بالكون لأن الكون مبتهج به/ أنا عاشق لكل العالم لأن جميع العالم منه».

وما أجمل هذا الارتباط بالكون! إنه ارتباط يشرح الصدر، ويبارك العمر ويزكّيه ويرفعه، ويجعل العلاقة بين الإنسان والكون علاقة العاشق بالمعشوق.

المقاومة عند حافظ الشيرازي

شمس الدين محمد بن بهاء الدين المعروف بلسان الغيب وحافظ الشيرازي (ت ٧٩١هـ) من أكبر شعراء الغزل الإيرانيين في أوائل القرن الثامن الهجري.

واصل مسيرة سعدي الشيرازي في استنهاض الشعور والمحافظة على عزّة الأمة وكرامتها. ولغته الغزلية خاطبت أعماق النفس الإنسانية ودعتها إلى التهيّؤ لحمل أعباء المسؤوليات الكبرى ودخول عباب البحر وعدم الاكتفاء بالجلوس على الساحل.

لقد عبّر بالخمرة في «غزلياته» عن خروج الإنسان من سجن ذاته. لأن الخمرة المسكرة تجعل الإنسان منفصلاً عن وعيه، وهذه الخمرة التي يدعو إليها حافظ تؤدي إلى انفصال الإنسان عن ذاتيته وأنانيته عن وعي.

يبدأ أول غزلياته بالقول:

ألا يا أيها الساقي أدر كأسًا وناولها

كه عشق آسان نمود اول ولى افتاد مشكلها

الشطر الأول بالعربية والثاني يقول: إن العشق بدا في أوله سهلاً ولكن وقعت بعد ذلك المشاكل. والعشق في المنظومة الفكرية لحافظ هو المتشوّق للجمال والكمال، فالطريق نحو الكمال الإنساني مليء بالمهام الكبيرة.

ثم يقول في هذه الغزلية إن العشاق يخوضون عباب البحر في الليل المظلم، وأين هؤلاء العشاق من أولئك الذين يجلسون عند ضفاف النهر!!

وفي «غزلية» أخرى يدعو إلى ملء الجوّ بالجمال وإدارة الخمر في الكؤوس (وهي رموز كما ذكرت للخروج من الذاتية والتحرك نحو المطلق سبحانه)، لكي يستطيع هو ومن يتحرر من ذاتيته إلى شقّ سقف الفلك، (أي إلى تغيير النظام المهيمن) وإلى إقامة مشروع جديد للحياة:

بيا تا گل برافشانيم ومي در ساغر اندازيم

فلک را سقف بشكافيم و طرحى نود در اندازيم

أي تعال: ننثر الزهور، ونصبّ الخمرة في الكأس

ونشقّ سقف الفلك ونبني طرحًا جديدًا

ويقول في البيت التالي متحديًا الهموم والمصاعب:

آگـر غـم لشـكر انگيـزد كـه خـون عاشـقان ريـزد

مـن وسـاقي بهـم سـازيم وبنيـادش برانـدازيم

أي: لو أن الهموم جيّشت جيوشها لإراقة دم العاشقين

فأنـــا والســـاقي نتعـــاون لاقـــتلاع جـــذوره

ويـدعو إلى التحـرر مـن الهمـوم الصـغيرة وإلى التحلّـي بالهمـة السامية يقول:

غلام همت آنم كه زير چـرخ كبـود

زهرچه رنگ تعلّـق پـذيرد آزاد اسـت

أي: أنا عبد ذلك الشخص الرفيع الهمة الذي استطاع تحت هذه القبـة الزرقـاء/ أن يحـرر نفسـه مـن كـل مـا تتعلـق بـه الصـفات والألوان.

الدعوة إلى العشق في ديوان حافظ هي الدعوة إلى الحياة كما ذكرنا، ولذلك يعزف حافظ الشيرازي على وتر العشق ليستثير أشواق الإنسان إلى الكمال والجمال يقول:

النـاس منجـذبون فطريًـا لعشـق الجمـال، سـواء منهم مـن نهـج طريق العقل أو نهج طريق العرفان. وكلّ أماكن العبادة يعبّر فيها المؤمنون عن انشدادهم بالعشق:

همه كس طالب يارند چه هشيار وچه مست

همه جا خانه عشق است چه مسجد چه كنشت

أي: «كل الناس يطلبون المعشوق، الصاحي منهم والثمل/ وكل مكان بيت للعشق مسجدًا كان أم كنيسًا».

والعشق موهبة وصلت الإنسان من ميراث الفطرة:

مى خور كه عاشقى نه به كسب است واختيار

ايـن موهبـت رسيـــد ز ميـــراث فطرتم

أي: «عــبَّ المـدام، فالعشـق لـيس بالكسـب والاختيـار / هـذه موهبة وصلتني مـن ميراث فطرتـي».

والعاشق العارف لم يتعلم سوى عشق جمال الحبيب:

نيست بر لوح دلم جز الف قامت دوست

چه كنم حــرف دگــر ياد نداد استادم

أي: «ليس على لوح قلبي سوى ألف قامة الحبيب / ماذا أفعل إذ لم يعلمني أستاذي غير ذلك».

والعشـق هـو الحيـاة ولـيس سـواه إلا المـوت، ويُفـتي حـافظ بـأداء صلاة الميت على من خلا قلبه من العشق!!

هرآن كسى كه درين حلقه نيست زنده به عشق

بـر او نـمرده بـــه فتواىِ مـن نمـــاز كنيـــد

أي: «كل من لم يكن في هذه الحلقة حيًا بالعشق/ بفتواي أقيموا عليه صلاة الميت وهو حيّ».

المقاومة لدى مولانا جلال الدين البلخي

جلال الدين، محمد البلخي (٦٠٤ - ٦٧٢هـ) وُلد في مدينة بلخ من مدن خراسان الكبرى، وتقع اليوم في أفغانستان.

تنقّل مع أسرته حتى استقر في «قونية» من بلاد الأناضول.

القرن الذي ولد وعاش فيه جلال الدين المولوي يمثل الحالة الفظيعة التي وصلت إليها مشاعر الأمة الإسلامية من انتكاسة، والروح الإسلامية من هبوط، وهذا هو الذي وفّر أرضية اجتياح العالم الإسلامي على يد المغول وسقوط بغداد.

الدراسات الدينيّة صارت جافّة لا تخاطب الروح، والمدارس الدينية تحوّلت إلى دكاكين. واستفحلت الذاتيات والأنانيات، وظهر التمزّق الاجتماعي على أثر ذلك. ومن الطبيعي أن يتجه نظر كل مصلح في مثل هذه الأوضاع إلى معالجة الروح والمشاعر. ونهض جلال الدين الرومي بمشروعه الكبير في الإحياء الديني منطلقًا من القرآن والسنّة، ومتعمقًا في النفس البشرية ليضع إصبعه على نقاط ضعفها وقوتها، وليدعو إلى ارتفاع الإنسان إلى

مستوى إنسانيته، وليجعل خطابه خطاب توحيد ووحدة: (مثنوي، دفتر ٦، بيت ١٥٢)

مثنويّ ما دكان وحدت است

غير واحد هرچه بيني آن بت است

أي: مثنويّنا (ديوان شعرنا) حانوت الوحدة

وكلّما تراه غير الواحد فهو الوثن

وظلّ حتى آخر حياته يتحرّك ويحرّك، لا يهدأ حتى في أيام مرضه الأخير، إذ لم ير على وجهه إلاّ الاستبشار مع أن الحمّى المحرقة كانت تنهش بدنه. توفي سنة ٦٧٢هـ ، بعد أن أقام الدنيا، ولم يقعدها حتى اليوم، إذ نرى كبار علماء الشرق والغرب يعكفون على دراسة آثاره واستخراج الدرر من كنوزه.

محور الخطاب المقاوم لجلال الدين الرومي يتمثل في دعوة الإنسان إلى الحركة نحو المطلق لأنه قد انفصل عن الله ويحمل في نفسه أشواقًا إلى مصدره الأول، فهو يستثير هذه الأشواق ويسمّيها بالعشق، ويدعو على من لا يحمل هذه الأشواق بالموت والفناء. وهذا ماجاء في «قصة الناي» التي يبتدئ مولانا كتابه *المثنوي* بها يقول:

١ـ بشنو از نى چون حكايت مي‌كند

از جداييها شكايت مي كنـــد

٢- كز نيستان تا مرا ببريده‌اند

در نفيرم مرد وزنناليده‌انـد..

٣- هر كسي كو دور ماند از اصل خويش

باز جويد روزگار وصل خويش

١ـ اصغ إلى الناي إذ يشكو ويحكي عن آلام الفراق.

٢ - ماإن انفصلتُ عن مزرعة القصب حتى غدا الرجال والنساء يئنون مع أنيني.

٣ - كل من أصبح بعيدًا عن أصله، يعود ليبحث عن يوم وصاله.

والذي يبعث الناي على هذه الأشواق هو النار الملتهبة في داخله وليس الهواء.. وهذه النار هي نار العشق.. في إشارة رمزية إلى معنى العشق . وفي إشارة رمزيّة أيضًا إلى أنّ هذه الأشواق الإنسانية هي الطاقة التي تبعث بالبشرية إلى الحركة والكمال .

١ـ آتشست اين بانک ناي ونيست باد

هركه اين آتش ندارد نيست باد

٢- آتش عشقست كاندر ني فتاد

جوشش عشقست كاندر مي‌فتاد

١ـ إنها النار في صوت الناي وليس الهواء، والموت لمن لا يحمل هذه النار في صدره.

٢ - إنها نار العشق التي وقعت في الناي، إنها فورة العشق التي شبّت في الخمرة.

عملية الإحياء في فكر مولانا تقوم على أساس إحياء العشق في نفس الإنسان، والعشق هو الطاقة التي تحرّك الإنسان إلى المطلق..

وهـذا المعنـى للعشـق مـن أهـمّ ماتـدور حولـه مفـاهيم العرفـان الإسلامي، ومن أجمل مايحمله هذا العرفان من خطاب إنساني.

ومفهوم العشق في العرفان واضح وهو بعبارة بسيطة: التخلّص من أغلال «الطين»، والانطلاق في جوّ الكون الفسيح في حركة لانهاية لها نحو الجمال والكمال.

والدعوة إلى العشق تستوعب جزء هامًا من كتاب *المثنوي*، يطرحها بأساليب مختلفة، ولأهميتها يخصص لها القطعة الثانية من الكتاب.

يدعو في هذا المثنوي ابنَه، أو أي ولدٍ ـ في إشارة إلى أنه موجّه أولاً إلى الشباب ـ ويقول: حرّر نفسك من قيود المال والمتاع، فحاجة الإنسان من متاع الدنيا محدودة. وهذه الدعوة لا تعني طبعًا الانعزال عن ممارسة النشاط الاقتصادي في الحياة، بل هي دعوة إلى الابتعاد عن الحرص والطمع والذاتية والأنانية، وهو مما يستلزم النشاط الاقتصادي السليم في كل مجتمع كي يتجه الاقتصاد فيه إلى خدمة المصلحة العامة.

ولا سبيل إلى التحرّر من هذه القيود إلا أن تكون عاشقًا، فالعشق يطهّر الإنسان من العيوب، ويسمو به، ويجعل الجبل دكًّا ويخر موسى صعقًا. يقول:

١ـ بند بُگسل باش، آزاد اي پسر

چنـــد بـــاشي بنـــدِ سيـــم و بندِ زرّ

٢- گر بريزي بحر را در كوزه يـــي
چند گنجد؟ قسمتِ يک روزه‌يی
٣- كوزه‌ي چشم حريصان پر نشـــد
تـا صدف قانع نشد پُـــر دُر نشـــد
٤- هركه را جامه زعشقي چاک شـــــد
او زحـرص وعيب كلّـي پاک شـــد
٥- شاد باش اي عشق خوش سوداي ما
اي طبيـــب جملـــه علّتهـــاي مـــــــا
٦- اي دواي نخوت وناموس مـــــا
اي تـــــو افـــلاطون وجالينوس مـــا
٧- جسم خاک از عشق بر افلاک شد
كوه در رقـــــص آمـــــد و چـــالاک شـد
٨- عشق جانِ طور آمد عاشقـــــــا
طور مســـــــت وخرّ موسي صاعقـا

١ ـ أيها الغلام اكسر القيود وتحرر، إلى متى تبقى في أسر الذهب والفضة؟

٢ - لو صببنا ماء البحر في كوز، فما مقدار ما يستوعبه الكوز؟ إنه مقدار مايمكن استهلاكه في يوم واحدٍ.

٣ - عين الطامعين لا تمتلئ أبدًا، نعم، لو لم تقنعِ الصَدَفة لما امتلأت درًّا.

٤ - من دخل في تجربة العشق، فقد تطهّر تمامًا من الأطماع والعيوب.

٥ - كن قرير العين أيها العشق، يا منيتنا الجميلة، يا طبيب كل أمراضنا.

٦ - يا دواء أنانيتنا وذاتياتنا، يا أفلاطوننا وجالينوسنا!

٧ - الجسم الترابي بفضل العشق سما على الأفلاك ، بل إن الجبل اهتزّ بفضله راقصًا.

٨ - أيها العاشق، إن العشق قد منح الجبل روحًا وحياة، حتى أن الطور أصبح ثملاً وخرّ موسى صعقًا.

وفي الأبيات إشارات إلى أن العشق يحرّر الإنسان من أغلال الجسد ويسمو به، وأن السبيل الوحيد لتخلّص الإنسان من الذاتية والأنانيّة هو العشق، الحكمة اليونانية اتخذها المتكلمون لتربية الإنسان وتهذيبه، ولجأوا في ذلك إلى أفلاطون وجالينوس ، لكن أفلاطون العارفين وجالينوسهم هو العشق، فبه يسمو الإنسان وتتفتح أمامه أبواب الحكمة والمعرفة والكمال.

العرفان الحقيقي هو أن يعرف الإنسان نفسه وموقعه من الكون والحياة والخالق وأخيه الإنسان.

بهذه المعرفة يرتفع الإنسان عن الانشداد بتوافه الأمور، ويتجه نحو مثله الأعلى السامي في الحياة.

وبذلك يقاوم كل عوامل الضعف والهزيمة والاستسلام في نفسه وفي مجتمعه.

فقه الوفاق

منذر الحكيم*

• الشيخ شمس الدين استعمل مصطلح فقه الوفاق لأول مرة • مؤلفات الرضي والمرتضى تشير إلى مفهوم فقه الوفاق • مبدأ الوحدة مبدأ إسلامي قرآني عام وضرورة من ضرورات الإسلام • فقه الوفاق يعبّر عن الثوابت التي ينبغي عدم تجاوزها • الرسول(ص) بيّن طريق الوحدة ووضع الضمانات • أهل البيت(ع) جسّدوا مبدأ الوفاق بشكل رائع • عبدالحسين شرف الدين أتقن خطته في لمّ شمل المسلمين.

١ ـ تاريخ المصطلح:

لئن كان مصطلح فقه الخلاف يعود استعماله إلى عصر الشيخ الطوسي (قدس سره)متمثلاً في كتابه الكبير المسمّى *بالخلاف*، فإنّ مصطلح فقه الوفاق قد استعمله العلاّمة الراحل الشيخ محمد مهدي شمس الدين (رحمه الله) لأوّل مرّة ـ فيما نعلم ـ في مقال له عن البعد

* -باحث من العراق.

الفقهي في شخصية الإمام شرف الدين كان قد قدّمه للمؤتمر التكريمي الأول الذي عقد ببيروت سنة ١٩٩٣م [١]، حيث اعتبر كتابي شرف الدين: *الفصول المهمة في تأليف الأُمة* و *أجوبة مسائل جار الله* نموذجًا لما سمّاه بـ « فقه الوفاق»[٢] . كما اعتبر جملة أُخرى من كتبه [٣] نموذجًا لفقه الخلاف المصطلح بين الفقهاء والأُصوليين .

---

١ - الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين مصلحًا ومفكرًا وأديبًا: ٤٢ . وقد جاء في عناوين الكتب الفقهية التي ألفها العلاّمة يحيى بن سعيد الحلي (م ٦٨٩هـ): *جامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وأئمة الحجاز والعراق* .

٢ - يعتبر كتابه *الفصول المهمة في تأليف الأُمة* من أقدم كتبه وذخائره المتبقية بعد الهجوم الفرنسي على داره ومكتبته التي أُحرقت وسُرقت . وكان قد ألّفه سنة (١٣٢٧هـ) ونشر جملة من فصوله في مجلة «العرفان» الصيداوية التي أسسها الشيخ أحمد الزين في السنة نفسها .

وقد جاء في مقدمة المؤلّف ما نصّه: «لا تتسق أُمور العمران ولا تستتب أسباب الارتقاء ولا تنبثّ روح المدنية ولا تبزغ شموس الدعة من أبراج السعادة ولا نرفع عن أعناقنا نير العبودية بيد الحرية، إلاّ باتفاق الكلمة واجتماع الأفئدة وترادف القلوب واتحاد العزائم والاجتماع على النهضة بنواميس الأُمة» . وفي اسم الكتاب ومقدّمته ومضمونه ومحتواه ما يكفي لاستلهام مصطلح «الوفاق» و«فقه الوفاق» منه وإن لم يكن كتابًا فقهيًّا مصطلحًا في ظاهره ولكنه عند التأمل لا يعدو أن يكون تأسيسًا فقهيًا جديدًا ورائعًا بمنهجية حديثة بالنسبة إلى لغة الفقه المتداول ولغة الفقهاء المعروفة لكل من مارس مطالعة الكتب الفقهية عند الإمامية .

٣ - وفي كتابه *أجوبة مسائل جار الله* الذي ألّفه سنة (١٣٥٤هـ) يقف المؤلّف أمام محاولة خطيرة وهي محاولة تفريق جماعة الأُمة وفصم عروتها وتمزيق وحدتها بقوله: «وبعد، فقد وردت عليَّ مسائل . . . فما وقفت عليها حتى أوجست من مغازيها خيفة على الوحدة الإسلامية أن تنفصم عروتها وتتفرّق جماعتها . . .» .

ولا مانع من أن يكون العلاّمة شمس الدين قد استلهم ذلك من تقابله مع مصطلح فقه الخلاف الذي قد تداول الفقهاء والأُصوليون المتأخرون، غير أننا حينما نعود إلى تراثنا الفقهي الإمامي نلاحظ في تصانيف شيخنا المفيد (رحمه الله)عنوانين يلفتان النظر إلى تداول مفهوم هذا المصطلح في نهايات القرن الرابع ومطلع القرن الخامس الهجريين . والظروف التأريخية التي عاشها المفيد والمرتضى والطوسي (رحمهم الله) تعين على إمكان طرح مثل هذا المفهوم الذي سوف نبحث عنه كمدلول لمصطلح فقه الوفاق .

والعنوانان هما: *الإشراف في عامّة فرائض أهل الإسلام والإعلام فيما اتفقت فيه الإمامية من الأحكام* ؛ فإنّ هذين العنوانين يشيران إلى أن مفهوم «فقه الوفاق» كان غرضًا من أغراض التأليف، سواء على صعيد الوفاق مع سائر المذاهب أو على صعيد الوفاق في خصوص اتجاهات المذهب الإمامي آنذاك [1] .

بينما اعتبر العلاّمة شمس الدين باقي آثاره التي نصّ عليها وسمّاها وهي: *مسائل فقهية والسجود على التربة الحسينية ونقل الجنائز* نموذجًا لفقه الخلاف . ويبدو أنه قد استلهم ذلك من محتواها وقد سبق اسم *مسائل خلافية* لكتابه *مسائل فقهية* وتداول هذا الاسم وغيّر فيما بعد، وهو يتكفّل ببيان مسائل فقهية خلافية اشتهر الخلاف فيها بين الشيعة وغيرهم من المسلمين .

١ - انظر: سلسلة مقالاتنا «دليل المحقق لدراسة مراحل تطور الاجتهاد في الفقه الإمامي» المنشورة في مجلة فقه أهل البيت (عليهم السلام) الأعداد ١٣ ـ ١٧ حيث تجد جردًا مستوعبًا لعناوين ما ألفه فقهاؤنا من كتب ورسائل فقهية على مدى عشرة قرون .

إذًا، من ناحية تأريخية يمكننا أن نبحث عن جذور «فقه الوفاق» في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الفقهية، كما هي حقيقة قائمة في سيرة أهل البيت (عليهم السلام)الرسالية حين فوّت الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الفرصة على الانتهازيين الذين أرادوا إثارة الخلاف والنزاع بعد رحيل الرسول الأعظم (ص).

والإمام شرف الدين وإن اعتنى بفقه الخلاف في كتابه *مسائل خلافية* ـ كما اعتنى بل قد أسس «فقه الوفاق» تأسيسًا حديثًا في كتابه *الفصول المهمة في تأليف الأمة* ـ لكنه لم يستعمل هذا المصطلح وان كان مؤمنًا بمفهومه وبضرورته وبضرورة السعي لتعميقه وتأصيله في مجتمعنا الإسلامي وفي أروقته العلمية عند الفرق الإسلامية جميعًا .

ومن هنا يمكن القول بأنّ العلاّمة شمس الدين قد سبق المعاصرين في إبداع واستعمال مصطلح «فقه الوفاق» حسب ما اطّلعنا عليه من دراسات فقهية معاصرة .

٢ ـ تحديد المصطلح:

قال العلاّمة شمس الدين (رحمه الله): «نعني بفقه الوفاق: المذاهب الكلامية للفرق الإسلامية حين يُبحث في وجوه الخلاف بينها، لا بهدف ترجيح أحدها على الآخر في هذه المسألة أو تلك . . . بل حين يبحث في علاقتها بوحدة المسلمين باعتبارهم أُمة واحدة، وأنّ اختلاف الفرق في المسائل الكلامية هل يقتضي أو لا يقتضي اختلاف الأُمة نفسها وانقسامها من حيث كونها أُمة مسلمة تجاه القضايا التي تتصل

بسيرورتها التأريخية وتفاعلها فيما بينها ومع العالم من حولها»[1].

اذًا، فقه الوفاق ـ بحسب هذا التحديد ـ يُعنى بوجوه الخلاف لا بوجوه الوفاق. هذا أولاً.

كما أن دائرة وجوه الخلاف هذه هي المسائل الكلامية لا الفرعية الفقهية ثانيًا، وبالتالي ينحصر البحث في هذه المسائل الخلافية الكلامية في مدى تأثير الخلاف على مبدأ وحدة الكلمة للأُمة المسلمة ثالثًا.

بينما يتّسع المصطلح ـ وأعني به مصطلح «فقه الوفاق» ـ من حيث المفردات التي يشتمل عليها، ومن حيث الأهداف التي يستهدفها هذا المنحى الفقهي لأكثر من ذلك الذي جادت به قريحة العلاّمة شمس الدين (رحمه الله) في هذا النص.

ومن هنا يمكن أن نقول: إن الفروع الفقهية المختلف فيها ـ والتي يتعصّب لها البعض ـ تدخل في هذا المضمار، حيث يزعم البعض أن هذه الخلافات هي ذات تأثير على أساس تديّن الإنسان المسلم مادام يخرج من دائرة واحدة من المذاهب الأربعة، أو على الأقل هكذا يتعامل أرباب المذاهب مع الأتباع حين يسألون عن مدى جواز التعبّد بغير مذهبهم.

كما أنّ الفروع والأُصول المتّفق عليها بين المذاهب الإسلامية والتي توحّد بينهم في كثير من أنماط السلوك والفكر والخُلُق لهي جديرة بالدخول في البحث من حيث ضرورة تحديدها، كما فعل الشيخ المفيد

---

١ - الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين مصلحًا ومفكرًا وأديبًا: ٤٢.

في كتابه *الإعلام* وإن خصّ بحثه ذلك بما اتفقت عليه الإمامية من الأحكام، وكما فعل أيضًا في كتابه *الإشراف* حيث ذكر أن موضوعه في عامّة فرائض أهل الإسلام .

ثم إن نفس «مبدأ الوحدة» مبدأ إسلامي قرآني عام وضرورة من ضرورات الإسلام، وهو جدير بالبحث الفقهي من حيث طبيعته وحقيقته وحدوده وعن تشريعه وفلسفة تشريعه، وجدير بالبحث عن لوازمه ودلالاته وأبعاده وآثاره وعن مميزات أدلته فقهيًا، كما فعل الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس سره) في كتابيه *الفصول المهمة* و*أجوبة مسائل جار الله* [1] .

وتدخل محاولتا الإمام شرف الدين في كتابيه: «المراجعات» و *النص والاجتهاد* [2] أيضًا في نفس الإطار الذي حدّده له العلاّمة شمس

---

١ - لقد أشار الإمام شرف الدين في مقدمة كتابه *الفصول المهمة*، إلى دليل عقلي وأدلة نقلية قرآنية هي مصدر تشريع مبدأ الوحدة مستعينًا بفلسفة تشريع هذا المبدأ الحيوي النهضوي، ثم أردفه بفصل خاص ضمّنه النصوص القرآنية ونصوص السنة النبوية . الناصّة على تشريع مبدأ الوحدة والأُلفة ووجوب الالتزام به كمبدأ إسلامي، ثم دخل في بحوث تفصيلية تقوم بدور تبديد أسباب النزاع والخلاف من وجهة نظر فقهية عند عامة مذاهب المسلمين وحسب متبنّياتهم، ثم عرّج على أسباب التنافر النفسية والسياسية التي تكمن وراء كل محاولات التفرقة والتشتّت بين المسلمين .

وفي *أجوبة مسائل جار الله* قد ردّ بشكل علمي رفيع على جملة من أسباب ومحاولات الفرقة مبددًا كل الشبهات والإثارات والتشبثات التي نشرت باسم أسئلة يبحث جار الله عن جوابها وصولاً إلى الحقيقة حسب زعمه .

٢ - وفي كتاب *المراجعات* نلاحظ تصدّيه لأهم مسألة من مسائل الخلاف وهي مسألة الإمامة والقيادة السياسية العامّة التي سبّبت تنازع الصحابة عليها ؛ لما لها من

الدين (رحمه الله) .

وقد تناول العلاّمة شرف الدين هذا الحقل ـ الذي برّزه وأثاره العلاّمة شمس الدين في مقاله هذا في ثنايا الكتاب التأسيسي لشرف الدين أعني *الفصول المهمّة في تأليف الأُمة* .

٣ ـ دواعي الاهتمام بفقه الوفاق:

بعد أن توسّعنا في دائرة البحث التي يعتني بها العلماء في فقه الوفاق وارتأينا ألاّ يتلخّص الاهتمام بأصل مبدأ الوحدة وتأصيله فقط، كما ارتأينا ألاّ نقف عند قضية الخلاف في الأُصول أو الفروع لنبحث عن

أهمية قصوى في حياة المسلمين، وتنقيح أدلتها، وكيفية تعامل الصحابة معها، وما تركته من آثار في حياة المسلمين، فقد قال (قدس سره) في مقدمته: «أما فكرة الكتاب فقد سبقت مراجعاته سبقًا بعيدًا، إذ كانت تلتمع في صدري منذ شرخ الشباب التماع البرق في طيّات السحاب، وتغلي في دمي غليان الغيرة، تتطلّع إلى سبيل سويّ يوقف المسلمين على حدّ يقطع دابر الشغب بينهم . . . ثم يسيروا معتصمين بحبل الله جميعًا، تحت لواء الحق إلى العلم والعمل، إخوة بررة يشدّ بعضهم أزر بعض» .

وفي «النص والاجتهاد» عطف النظر إلى نوع آخر من أسباب الخلاف والفرقة ـ التي تنضمّ تحت شعار التأويل للنصوص الصريحة ـ كان ينبغي كشفها ليُعلم مَن هُم مسبّبو الفرقة على مدى التاريخ، وكيف يدبّ الخلاف إلى جسم الأُمة باسم الاجتهاد، ثم حمل الناس على معارضة نصوص الكتاب والسنة طوعًا وكرهًا بكل قوّة، وهذه ثغرة كبيرة تحتاج إلى علاج علمي وثيق، وهذا ما قام به الإمام شرف الدين في آخر كتبه النهضوية التي تهتم بتأصيل الوحدة بشكل جذري من خلال البحث والتحقيق في مصادر التراث والتاريخ .

مدى تأثيرها على الوحدة من حيث الحكم الفقهي الذي يقرّ الخلافات الفقهية ضمن إطار الوحدة الإسلامية العامة، ويؤكّد التعايش السلمي رغم الاختلاف في الفروع والأُصول، فإننا نلمس ضرورة الاهتمام بفقه الوفاق من حيث تأثيره على منهج البحث الفقهي عند سائر الفرق الإسلامية إن استطعنا الإلمام بكل ما اتفق عليه أهل الإسلام، وجمع كل الأحكام التي أجمعت عليها الأُمة الإسلامية بشتى مذاهبها ؛ إذ تصبح هذه المجموعة هي الإطار الفقهي الذي يجمع الشمل، ويحدّد الخطوط الحمراء التي لا تُتجاوز من قِبل علماء المذاهب الإسلامية .

وهكذا يكون فقه الوفاق الإطار الموحِّد، ويعبّر عن الثوابت التي لا ينبغي تجاوزها والمحكمات التي يعود إليها كل مذهب رغم تنوّع الاتجاهات في استنباط الأحكام واختلافها في المناهج الخاصة بها، وبذلك يكون فقه الوفاق الضرورة الأُولى لتطوير فقه الخلاف إلى مستوى الاتجاه به نحو توحيد الأُمة والتقارب بين مذاهبها، لتلتقي في نقاط ومحاور جديدة تحتاجها في مسيرتها التكاملية التي تفرضها عليها ضرورات الحياة والتي بشّر بها قرآن ربّها حين قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [1] .

٤ ـ تاريخ تأسيس فقه الوفاق:

لقد أسسّ القرآن «مبدأ التفقه في الدين»، وينبغي ألاّ ننغلق على

---

١ - التوبة: ٣٣ . الفتح: ٢٨ . الصف: ٩ .

أنفسنا في فهم مصطلح «التفقّه» و«الفقه»، حيث يشاء البعض أن يحصره بالبحوث الفقهية الاستدلالية المتعارفة لدى الفقهاء، ولاسيما حين تحدّد مرحلة هذا الفقه في تاريخ التشريع الإسلامي الإمامي بمرحلة غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)، حيث تتزامن أواخر مرحلة الفقه الروائي أو الفقه المأثور مع بدايات مرحلة الفقه الاجتهادي [1].

وقد سار النبي (ص) وأهل بيت الرسالة في طريق فتح باب التفقه في الدين بشكله الصحيح، وتعميق هذا المبدأ وتبيين معالمه وفتح آفاقه وأبعاده، وإيجاد تيّار فكري قوي وثلّة مثقّفة بثقافة الكتاب والسنة تحمل مشعل الهداية الربّانية على مدى القرون والأجيال، وتلتزم بمنهج صحيح لهذا التفقّه، وتقوم بسدّ الحاجات الحقيقية المستجدّة في كل عصر.

وأوامر القرآن الكريم المتظافرة بالاعتصام بحبل الله جميعًا، واتحاد آحاد الأُمة على التمسّك به وعدم التفرّق والتشرذم والتنازع، هي الرصيد الأوّل لمبدأ الوحدة الإسلامية ولفقه الوفاق بمعناه الواسع الذي بيّنّاه، بدءًا بضرورة التماسك والتعاضد والتكاتف وصيرورة المسلمين يدًا واحدة في كلّ الظروف والحالات، وانتهاءً بحرمة التفرّق وشقّ عصا المسلمين.

---

١ - انظر: موسوعة الفقه الإسلامي طبقًا لمذهب أهل البيت(عليهم السلام) ١:١٨، ٣٤، ٤٧.

٥ ـ فقه الوفاق في السيرة والسنّة النبوية الشريفة:

وجاءت سيرة النبي الأعظم (ص) وأهل بيته الأطهار وخطاباتهم للأُمة لتؤكّد هذا المبدأ الذي وحّد القبائل المتنازعة والشعوب المتفرّقة في ثقافاتها واتجاهاتها في عصر النبي (ص)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [١].

وحين عيّن النبي (ص) للمسلمين طريق الوحدة وبيّن لهم الضمانات اللازمة من خلال أحاديث الثقلين المتعدّدة بقوله (ص): «إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»[٢]، لم يكتفِ أهل البيت (ع)بالنصح والإرشاد، بل جسّدوا هذا المبدأ بكل دقّة وأمانة.

لقد طرح أهل البيت (ع) مبدأ الوحدة الإسلامية بكل قوّة؛ شعارًا وشعورًا وسلوكًا مميّزًا، وأصّلوه وعمّقوه بسيرتهم رغم كلّ الانحرافات التي طالت الأُمة، ورغم كلّ الإقصاءات التي حصلت لهم من قِبل الحكّام أعداء الإسلام وأعداء الأُمة الذين لبسوا لبوس الإسلام وراحوا يتبجّحون بالوحدة وخوف الفتنة حين عَدّوْا على آل بيت الرسول وشرّدوهم ومزّقوهم شرّ تمزيق. وقد جعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إمامتهم للأُمة أمانًا من الفرقة ومحورًا مهمًّا من محاور

---

١ - الأنبياء: ٩٢.

٢ - حديث معروف متواتر، تجده بأسناده ونصوصه التي استقصتها رسالة دار التقريب القاهرية. وانظر: *الصواعق المحرقة*: ١٤٨. و*المراجعات* للإمام شرف الدين: المراجعة رقم ٨.

الوحدة التي يلتقي عليها كل المسلمين .

فالكتاب والسنّة هما الرصيد الأول لهذا المبدأ ، وهما اللذان طرحا فقه الوفاق كمفهوم وكمبدأ أساس في حياة الأُمة الإسلامية ، ونظّرا له خير تنظير ، وقد تناساه الحكّام وتغافلوا عنه واستعملوه بشكل يحقّق لهم مصالحهم حين انحرفوا عن الصواب .

٦ ـ فقه الوفاق في سيرة أهل البيت (ع):

ورغم المحاولات المبذولة لإبعاد الأُمة عن أهل البيت (ع) الذين جعلهم النبي (ص) محور الوحدة الحقيقية والمطلوبة في مقاييس الرسالة الإسلامية فإنّ أهل البيت (ع) لم ينفصلوا عن الأُمة ، بل حاولوا الاحتفاظ بحضورهم الفاعل في الساحة وتواجدهم بين جمهور الأُمة وعلى أصعدة شتى ومستويات مختلفة ، سواء على مستوى توجيه النخبة وقيادتها فكريًا وثقافيًا ودينيًا ، وسواء على مستوى التعامل المبدئي مع الحكّام من خلال النصح والإرشاد ، وعدم إعطاء فرص للاحتواء والذوبان في جهاز الحاكمين وركبهم ، وسواء على مستوى الجماهير الذين يبحثون عن قدوة عملية ونماذج رسالية تروّي عطشهم وتسدّ حاجاتهم العاطفية والسلوكية . . وهم في كل الظروف ورغم كل الخلافات التي حصلت من خلال إبعاد الحكّام المنحرفين للأُمة عن مصادر الرسالة وينابيعها السليمة من كل غبش وغش وتشويش ، فإنهم هم الذين جسّدوا مبدأ الوفاق والوحدة بشكل رائع لا مثيل له ، مؤثرين طاعة الله ورضاه المتمثل في تحقيق وحدة الأُمة حتى على حقوقهم

الخاصّة بهم، وهم بذلك قد بلوروا فقه الوفاق بأعلى درجاته وأسمى مُثله وأنواعه، ليرتقوا بالأُمة من الحضيض إلى القمّة، ومن ردى الشقاق والتمزّق إلى هدي الوحدة والاتفاق والتآلف والوئام [1].

٧ ـ فقه الوفاق في مدرسة أهل البيت (ع):

وقد سار علماء مدرستهم (ع) على منوالهم ونهجهم، فسلكوا مسلكهم وكتبوا فقه الخلاف من منطلق توحيد الأُمة وتقريبها نحو الأهداف الرسالية المنظورة لها، كما نجد ذلك واضحًا فيما ألّفه روّاد الفقه الإسلامي في نهايات القرن الرابع ومطلع القرن الخامس الهجريّين كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي (رحمهم اللّٰه) ومن حذا حذوهم من فقهاء هذه المدرسة المباركة [2].

بيد أنّ الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس سره) الذي عاش عصر الاستعمار ومحاولاته لتمزيق الأُمة الإسلامية تحت شعار

---

١ - انظر ما جاء في *نهج البلاغة* حول أسباب صمت الإمام علي (عليه السلام) وصبره على ابتزازهم حقّه المشروع في الخلافة، ومسالمته للخلفاء الذين لم ترشّحهم الأُمة ولا النبي القائد، قال (عليه السلام): «صبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبًا»، وقال (عليه السلام): «حتى رأيت راجعة الناس يدعون إلى محق دين محمد».

٢ - انظر: *الإعلام والإشراف* للشيخ المفيد، *والانتصار والناصريات* للسيد المرتضى علم الهدى، *والخلاف* للشيخ الطوسي، *وتذكرة الفقهاء ومنتهى المطلب* للعلاّمة الحلي، *وجامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وأئمة الحجاز والعراق* لابن سعيد الحلّي.

التحضّر والتقدم العلمي والتقني قد أتقن خطّته في لمّ شمل المسلمين وتوحيد أُمة محمد (ص) توحيدًا ينطلق من أُسس علمية نظرية قرآنية ونبوية، وسدّ في كتاباته معظم أنواع الخلل والضعف المحتمل، وأتمّ الحجة على أرباب المذاهب من خلال مصادرهم ومراجعهم، ولم يكتفِ بنصوص الكتاب والسنّة، بل أردفها بفتاوى علمائهم كيما يسدّ طريق التأويل والتوجيه الذي هو أعتى سلاح عند النخبة إن أرادت الخروج على الأُصول والمبادئ والقيم ـ لا سمح الله ـ برداء وزيّ علمي طبعًا [1].

---

١ - انظر كتبه: *إلى المجمع العلمي العربي بدمشق وأجوبة مسائل جار الله* و*مسائل خلافية والنص والاجتهاد والمراجعات والفصول المهمة*. وراجع: الهوامش السابقة برقم ٢ و٣ و٦ و٧. وقد نشرت بحوث *مسائل خلافية* ـ وهي التي عرفت فيما بعد بـ «مسائل فقهية» ـ على صفحات مجلة «العرفان» الصيداوية ومجلة «رسالة الإسلام» التقريبية وهي بحوث فقهية مقارنة بين الإمامية وسائر المذاهب الإسلامية في أبواب الصلاة والصوم والنكاح. وفي *أجوبة مسائل جار الله* تعرّض لبحوث في الصحبة والصحابة والإرث والتقية والحج والبداء، كما تعرّض لمصادر الحديث وما دخلها من تلاعب غير مرضى بعد أن ردّ على الافتراءات التي أثارها البعض، سالكًا طريق النصح بإشفاق، وقائلاً لأرباب المجمع ما نصه: «إنكم ـ معشر القوّامين على هذا المجمع وعلى مجلّته ـ تبوّأتم بهما مبوّأ قوامين بالعلم، مصلحين، مثاليين، وقادة فكر ورأي، ودعاة إلى الخير، وسعاة في لمّ شعث، وتوحيد عزائم وهمم وأهداف. ومن تبوّأ هذا المبوّأ بصدق جامعًا لشروطه كان على الأُمة أن تخلص له النصح، وتصدقه الرأي والمشورة». ثمّ دعاهم إلى الوحدة، وعاتبهم بحفيظة، واحتج على عدوانهم بالبرهان. انظر: مطلع الكتاب ومقدمته، طبعة دار المحيط ـ كربلاء المقدّسة، العراق.

يا تونس الخضراء

نزار قباني

آلام شاعر قبل الصحوة

هذه القصيدة قالها نزار في زيارته لتونس وفيها:

ياتونس الخضراء جئتك عاشقًا	وعلى جبيني وردة وكتاب
إني الدمشقي الذي احترف الهوى	فاخضوضرت بغنائه الأعشاب
أحرقت من خلفي جميع مراكبي	إن الهوى ألا يكون إياب
قمر دمشقي يسافر في دمي	وبلابل وسنابل وقباب
الفل يبدأ من دمشق بياضُه	وبعطرها تتطيب الأطياب
والماء يبدأ من دمشق فحيثما	أسندت رأسك جدول ينساب
والشعر عصفور يمد جناحه	فوق الشآم وشاعر جواب
والحب يبدأ من دمشق فأهلنا	عبدوا الجمال وذوبوه وذابوا
والخيل تبدأ من دمشق مسارها	وتشد للفتح الكبير ركاب
والدهر يبدأ من دمشق وعندها	تبقى اللغات وتحفظ الأنساب
ودمشق تعطي للعروبة شكلها	وبأرضها تتشكل الأحقاب
بدأ الزفاف فمن تكون مضيفتي	هذا المساء ومن هو العراب
أأنا مغني القصر يا قرطاجة	كيف الحضور وما علي ثياب
ماذا أقول ؟ فمي يفتش عن فمي	والمفردات حجارة وتراب
فمآدب عربية .. وقصائد	همزية .. ووسائد وحباب
لا الكأس تنسينا مساحة حزننا	يوما ولا كل الشراب شراب

من أين يأتي الشعر يا قرطاجة ... والله مات وعادت الأنصاب

من أين يأتي الشعر ؟حين نهارنا ... قمع وحين مساؤنا إرهاب

سرقوا أصابعنا .وعطر حروفنا ... فبأي شيء يكتب الكتاب

والحكم شرطي يسير وراءنا ... سرًا فنكهة خبزنا استجواب

الشعر رغم سياطهم وسجونهم ... مَلِك وهم في بابه حُجّاب

من أين أدخل في القصيدة يا ترى ... وحدائق الشعر الجميل خراب

لم يبق في دار البلابل بلبل ... لا البحتري هنا ولا زرياب

شعراء هذا اليوم جنس ثالث ... فالقول فوضى والكلام ضباب

يتكلمون مع الفراغ فما هم ... عجم إذا نطقوا ولا أعراب

اللاهثون على هوامش عمرنا ... سيان إن حضروا وإن هم غابوا

يتهكمون على النبيذ معتقًا ... وهم على سطح النبيذ ذباب

الخمر تبقى إن تقادم عهدها ... خمرًا وقد تتغير الأكواب

من أين أدخل في القصيدة ياترى ... والشمس فوق رؤوسنا سرداب

إن القصيدة ليس ما كتبت يدي ... لكنها ما تكتب الأهداب

نار الكتابة أحرقت أعمارنا ... فحياتنا الكبريت والأحطاب

ما الشعر؟ ما وجع الكتابة؟ ما الرؤى؟ ... أولى ضحايانا هم الكتاب

يعطوننا الفرح الجميل وحظهم ... حظ البغايا ما لهن ثواب

يا تونس الخضراء هذا عالم ... يثري به الأمي والنصاب

فمن الخليج إلى المحيط .. قبائل ... بَطِرَت فلا فكر ولا آداب

هل في العيون التونسية شاطيء ... ترتاح فوق رماله الأعصاب

أنا يا صديقة متعب بعروبتي ... فهل العروبة لعنة وعقاب

أمشي على ورق الخريطة خائفًا ... فعلى الخريطة كلنا أغراب

أتكلم الفصحى أمام عشيرتي ... وأعيد .. لكن ما هناك جواب

لولا العباءات التي التفوا بها ... ما كنت أحسب أنهم أعراب

يتقاتلون على بقايا تمرة ... فخناجر مرفوعة وحراب

قُبلاتهم عربية .. من ذا رأى ... فيما رأى قُبلا لها أنياب

ياتونس الخضراء كأسي علقم ... أعلى الهزيمة تشرب الأنخاب؟

وخريطة الوطن الكبير فضيحة ... فحواجز ومخافر وكلاب

والعالم العربي إما نعجة ... مذبوحة أو حاكم قصاب

والعالم العربي يرهن سيفه ... فحكاية الشرف الرفيع سراب

والعالم العربي يخزن نفطه ... في خصيتيه وربك الوهاب

والناس قبل النفط أو من بعده ... مستنزفون فسادة ودواب

ياتونس الخضراء كيف خلاصنا ... لم يبق من كتب السماء كتاب

من ذا يصدق أن مصر تهودت ... فمقام سيدنا الحسين يباب[1]

ما هذه مصر فإن صلاتها ... عبرية وإمامها كذاب

ما هذه مصر فإن سماءها ... صغرت وإن نساءها أسلاب

إن جاء كافور فكم من حاكم ... قهر الشعوب وتاجه قبقاب

بَحْرية العينين ياقرطاجة ... شاخ الزمان وأنت بعد شباب

هل لي ببعض البحر نصف جزيرة ... أم أن حبي التونسي سراب

---

١ - حديث الشاعر هذا قبل التحول الكبير في مصر طبعًا، وهو يبين بعض الحالة التي وصلت إليها مصر والتي أدت إلى انتفاضة الشعب لاستعادة كرامته .

أنـا متعـب ودفـاتري تعبـت معـي هـل للـدفاتر يـا تـرى أعصـاب؟
حزنـــي بنفســـجة يبللـــها النـــدى وضـفاف جرحـي روضـة معشـاب
لا تعـذليني إن كشـفت مـواجعي وجـه الحقيقـة مـا عليـه نقـاب
إن الجنـون وراء نصـف قصـائدي أوليس في بعض الجنون صواب؟
فتحملـي غضـبي الجميـل فربمـا ثـارت علـى أمـر السـماء هضـاب
فـإذا صـرخت بوجـه مـن أحببـتهم فلـك يعـيش الحـب والأحبـاب
وإذا قسـوت علـى العروبـة مـرة فلقـد تضـيق بكحلـها الأهـداب
فلربمـا تجـد العروبـة نفسـها ويضـيء في قلـب الظـلام شـهاب
ولقـد تطـير مـن العقـال حمامـة ومـن العبـاءة تطلـع الأعشـاب
قرطاجـــة قرطاجـــة قرطاجـــة: هـل لـي لصـدرك رجعـة ومتـاب؟
لا تغضـبي مـني إذا غلـب الهـوى إن الهـــوى في طبعـــه غـــلاب
فـذنوب شـعري كلـها مغفـورة والله جـــل جلالـــه التـــواب

الشهيد السيد البهشتي والتقريب

مسيح المهاجري*

جعلت الظروف الدولية الراهنة من موضوع الوحدة الإسلاميّة موضوعًا ملحًا وحاجة ماسة يقرها كلّ عقل سليم ؛ لأن الهجمة الشرسة التي يخطط لها في أروقة القوى العظمى مستهدفة الكيان الإسلامي والتي لم يسبق لها نظير لا يمكن أنّ تجابه إلاّ بيقظة المسلمين ووحدة كلمتهم.

إنّ انهيار المعسكر الشيوعي الذي حاول الغرب جاهدًا من أجل استثماره لصالحه يعتبر انهيارًا للمادية بأسرها، ولهذا فإنه يشمل فيما يشمل المعسكر الغربي الذي تبنى المنهج المادي أيضًا . كما أنّ هذا الانهيار قرع أجراس الإنذار لقادة الدول المهيمنة على مقاليد العالم، فقد رافق ذلك الانهيار تنامي الصحوة الإسلاميّة في إطار الانبعاث العالمي للإسلام باعتباره بديلاً عقائديًا ومعنويًا شاملاً يكفل ملء الفراغ السائد حاليًا . ولهذا نرى بوضوح مواجهتهم العنيفة للثورة الإسلاميّة التي سخّروا لإجهاضها شتى الأساليب والطرق المتاحة لهم في كلّ أنحاء المعمورة، كما أنهم يعتبرون مواجهة الثورة الإسلاميّة مفتاحًا لمواجهة هذه الصحوة

---

* -كاتب وإعلامي إيراني.

الشاملة، وخير دليل على ذلك وجود بؤر صراع متعددة في العالم الإسلامي، سواء في آسيا أو أوربا أو أفريقيا، فإن إيجاد هذه البؤر يدخل في هذا الإطار.

نستلخص من كلّ هذا: أنّ الأسلوب الوحيد لمواجهة هذه الهجمة التي جنّد العدو أحدث الوسائل والخطط لإنجاحها لقمع الحركة الإسلاميّة هو: تحقيق الوحدة الإسلاميّة التي تضمن تحرير العالم من ربقة الأخطار الكبيرة المحدقة به من جراء تنامي أطماع الدول الاستكبارية في العالم، وأن أهم عامل يكفل تحقيق هذه الوحدة هو: محاولة تقريب وجهات النظر وآراء الفرق الإسلاميّة . كما أنّه من العسير التوصل إلى الوحدة الإسلاميّة العملية مع فقدان الأرضية الفكرية اللازمة لذلك .

وبالرغم من الجهود المضنية والمثمرة التي بذلها قادة الفرق الإسلاميّة والمفكرون الكبار لتحقيق ما يمكن تحقيقه من الوحدة الإسلاميّة فإن الواقع يقول: إنهم لم يخطوا سوى خطوات محدودة في هذا المجال، وإن متابعة ومواصلة مسيرتهم تستوجب بذلك مزيد من المحاولات المخلصة من قبل مفكري وفقهاء جميع الفرق الإسلاميّة ، ومن أجل مواصلة تلك المسيرة لابد من الوقوف على بعض الأمور:

منها: دراسة إنجازات المتقدمين من المهتمين بتحقيق الوحدة، والاستفادة من الطاقات المتاحة في كافة أنحاء العالم، وكشف العقبات الكأداء التي تقف حائلاً دون تحقيق هذا الهدف، والتوصل إلى السبل الكفيلة لرفع هذه العقبات .

إنّ أكبر عقبة تحول دون تحقيق الوحدة الإسلاميّة هي: داء التخلّف الفكري الذي ابتلي به بعض قادة فرقنا الإسلاميّة ، والذي أسفر عن وقوفهم بوجه أية محاولة للتقريب بين تلك الفرق . بالإضافة إلى ذلك فإن هذا الداء الوبيل يمهد الأرضية والظروف المناسبة لهجوم المعسكر الإلحادي على الإسلام، وتعبيد الطريق لمجيء الاستعمار، وقد تلقى الإسلام أوجع الضربات من هذا الخلل الشنيع . وتأسيسًا على ذلك لابد من تركيز العمل الجاد لمعالجة هذا الداء وإزالة آثاره البالغة، والتوجه الجدي للقضاء على هذا الخطر المداهم.

إنّ الإمام الخميني ـ رحمه الله ـ الذي قاد الثورة الإسلاميّة إلى ساحل النصر العظيم وفتح باب التقريب على مصراعية يعد من طليعة الفقهاء المتفتحين في عصرنا الحاضر . كما أنّ إيعاز قائد الثورة الإسلاميّة آية الله السيد علي الخامنئي بتأسيس «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة» وتأكيده مرارًا على جدية أنشطة هذا المجمع لم يكن يتأتى لولا تمتعه بعقلية نيرة متفتحة، ووقوفه على حاجة الأمة الإسلاميّة الماسة للوحدة، لذا فإن جميع الجهود التي يبذلها المفكرون المسلمون من الفرق كافة يجب أنْ تنصب على إزالة التخلف الفكري المستشري في أوساط علماء المسلمين أنفسهم، ففي عصرنا الحاضر لا يمتلك المتخلفون فكريًا أية ميزة سوى كونهم حطبًا للنيران التي أججتها جبهة الإلحاد لحرق العالم الإسلامي .

إنّ العالم الإسلامي اليوم بأمس الحاجة إلى قادة وعلماء يتمتعون بضمائر ثورية حية لتحقيق النصر على الكفار الذين هبوا بكل ثقلهم مجندين بشتى الأساليب البراقة لسلب الهوية الإسلاميّة الأصيلة من المسلمين وبث الفرقة والخلافات الجانبية بينهم.

يعد الشهيد المظلوم آية الله السيد محمّد حسين الحسيني البهشتي[1] .الفقيه والعارف والفيلسوف والمتكلم المبرز في عصرنا الحاضر من خيرة المفكرين الذين تبنوا مشروع التقريب والوحدة الإسلاميّة باعتباره ضرورة ملحة لا يمكن تجنبها، فكان الشهيد فقيهًا لا معًا متفتحًا بكل ما في الكلمة من معنى، وله مواقف خالدة في مواجهة التخلف الفكري السائد ومعالجته.

لم يكن الشهيد البهشتي ينظر إلى الوحدة الإسلاميّة باعتبارها منفعة للمسلمين، بل كان يؤمن بها باعتبارها ضرورة

---

١ - ولد الشهيد آية الله الدكتور محمّد حسين الحسيني البهشتي عام (١٩٢٨م) من عائلة دينية في مدينة أصفهان، وتخرج من جامعتها، وبعدها توجه إلى الحوزة العلمية في قم المقدسة، حيث استفاد من جلسات دروس الأساتذة الكبار هناك في استقاء العلوم الدينية والفلسفية، وحصل على شهادة العلوم الدينية والفلسفة، وحصل أيضًا على شهادة البكالوريوس والدكتوراه في الشريعة الإسلاميّة من جامعة طهران.

بدأ الشهيد نشاطه الثقافي والسياسي منذ عام (١٩٥٠م) وتابع الاهتمام بتربية الكادر اللازم من أجل الكفاح الفكري والثقافي منذ عام (١٩٥٤م) وحتى عام (١٩٦١م) .

ملحة لابد من تحقيقها . واستنادًا لهذا الإيمان الراسخ بهذه الضرورة نجده يقيم شبكة من العلاقات الودية الإخوية الواسعة مع أهل السنة، وكان يرى: أنّ سر ديمومة الأمة الإسلاميّة مرهون بإدامة هذه العلاقات، ولم يكن يعتبر ذلك تكتيكًا مرحليًا.

كان الشهيد كثير الاهتمام بالمبادئ الفكرية وآراء فقهاء الفريقين، ويعتبر هذا الاهتمام عاملاً أساسيًا في تحقيق التقريب، كما كان ذا اعتقاد راسخ بأن الكثير من الخلافات السائدة بين أتباع المذاهب الإسلاميّة منشؤها: جهلهم بوجهات نظر الآخرين على الأصعدة كافة، لهذا فإن حث طلبة العلوم الدينية والباحثين على التعرف على تعاليم ومعتقدات الفرق الأخرى يعتبر من أهم أساليب ومتبنيات الشهيد البهشتي في محاضراته العلمية، بالإضافة إلى ذلك فإن الشهيد بالرغم من تمسكه الشديد بالقيم والمعتقدات الدينية والمعنوية كان مجردًا من التعصب الطائفي الأجوف، إذ كان ـ رحمه الله ـ كثير الالتزام بالأسلوب المنطقي لتلاقح الأفكار وإنارة الأذهان، حتى لدى احتكاكه ومناقشاته مع الأعداء الحاقدين على الإسلام والمسلمين ؛ لأنه كان يؤمن إيمانًا راسخًا بأن الاسلوب المنطقي المعقول هو الطريق الوحيد لإيصال الأفكار والمعتقدات، وفي هذا الإطار كانت لقاءاته بعلماء السنة وفقهائهم مفعمة بأجواء ودية وإخوية خالصة، وكان يولي هذا الأمر اهتمامًا بالغًا.

إنّ اختيار الساحة الأوربية كميدان عمل مناسب من قبل الشهيد البهشتي كان اختيارًا موفقًا ومدروسًا ويدخل ضمن إطار انفتاحه الفكري، فقد بذل جهودًا حثيثة في تحقيق الوحدة بين المسلمين خلال الأعوام الخمسة التي أمضاها إمامًا للمركز الإسلامي في مدينة «هامبورغ» الألمانية (١٩٦١ م ـ ١٩٦٦م) . فإن أهم إنجازٍ حققه الشهيد البهشتي في تلك الفترة هو: ترسيخ فكرة كون الوحدة الإسلاميّة هي العامل الوحيد الذي سيكفل المحافظة على بيضة الإسلام، وأن تحقيق هذه الوحدة أمر ممكن. وأتذكر أني سمعت منه ذات مرة يقول: «عندما توجهت إلى أوربا بلغني أنّ هناك مؤامرة فكرية محبوكة حاكها المستشرقون الأوربيون تستهدف تفسيق الفريقين، ومن ثم تفسيق رجالات صدر الإسلام والصحابة الأجلاء ؛ ليتوصلوا بعد ذلك إلى أنّ الشخص الذي يحيط به صحابة فاسقون غير جدير بأن يكون نبيًا مرسلاً، فكانوا ينكرون رسالة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وآله ـ ويروجون لهذه الأفكار».

وأضاف الشهيد البهشتي قائلاً: «لقد عاهدت الله منذ ذلك التاريخ بأني سوف لا ءألو جهدًا في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة حتّى إحباط هذه المؤامرة الدنيئة». وقد أوفى الشهيد بعهده الذي قطعه لله ونذر عمره الكريم في هذا الطريق المقدس.

وإضافة لجهوده الفكرية الحثيثة كان الشهيد ذا علاقات وطيدة وواسعة مع أهل السنة، والتزم بهذا الأسلوب في أوربا وإيران حتى بلغ بالعناصر الحاقدة والمتخلفة فكريًا أنّ توجه إليه

سيلاً من التهم الجائرة، فكان من الشهيد المظلوم أن يغض الطرف عن كلّ هذه التهم ويواصل الطريق الذي عاهد الله عليه .

قال السيد البهشتي في خطبة له يوم القدس: «إنّ مراسم يوم القدس هي في الحقيقة إحياء لا لتزامنا جميعًا نحن المسلمين تجاه تحرير القدس الأرض الربانية».

إنّ المادة الحادية عشرة من دستور الجمهورية الإسلاميّة التي تنص استنادًا للآية الكريمة ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1] على أنّ المسلمين أمة واحدة «وعلى الجمهورية الإسلاميّة أنّ تبذل كلّ جهدها السياسي لتوحيد الشعوب الإسلاميّة سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا» التقت معها أفكار الشهيد المظلوم في مجال الوحدة الإسلاميّة.

كان الشهيد المظلوم رئيسًا[2] لمجلس خبراء دستور الجمهورية الإسلاميّة ، وأن هذه المادة البالغة الأهمية في تحقيق التقريب والوحدة جاءت ثمرةً للجهود السخية التي بذلها من أجل تحقيق الوحدة العملية للأمة الإسلاميّة .

إنه أحد مؤسسي الحزب الجمهوري الإسلامي والأمين العام له.

وفي سنة (١٩٧٩ م) عهدت إليه رئاسة المحكمة العليا للبلاد.

أهم مؤلّفاته: مراجع الإسلام وعلماؤه ومذهب الشيعة، وحديث الشهر، وحديث عاشوراء، الله من وجهة نظر القرآن، وما هي الصلاة.

---

١ - الأنبياء: ٩٢ .

٢ - عهدت إليه عضوية مجلس قيادة الثورة من قبل إمام الأمة (قدس سره).

بشائر عودة الأزهر الشريف

بعد انتفاض الشعب المصري العظيم على مذلّيه وساحقي كرامته والمستهينين بمقدّراته، بدأ يقطع الخطوة بعد الخطوة نحو إعادة بلده المجيد إلى مكانته الموموقة على الساحة العربية والإسلامية والعالمية.

الأنباء تطالعنا عن مواقف تبعث السرور في قلب كل إنسان غيور بشأن التعامل مع غزّة والعدو الصهيوني ومحاسبة الخونة. وها هي ذي أنباء مفرحة تأتينا عن الأزهر الشريف الذي فقد منذ أعوام مكانته الرفيعة في العالم الإسلامي، حين راح يدبّج الفتاوى وفق إرادة الحاكم المستبد المنحرف بشأن الفصائل الإسلامية وبشأن إسرائيل، بل وبشأن ممارسات السلطات الفرنسية تجاه حجاب المرأة المسلمة!!

هذا التراجع لدور الأزهر أفرز على الساحة الإسلامية سلبيات كثيرة لعلّ منها انتشار روح الهزيمة وقد يكون منها أيضًا انتشار روح الهزيمة وقد يكون منها أيضًا انتشار موجة التطرّف، وظهور مشايخ السوء الذين يفتون وفق أهوائهم أو أهواء أسيادهم.

سيكون لنا وقفات عند هذه العودة المباركة للأزهر الشريف لمالها من ارتباط بمسيرة التقريب، وفي هذا العدد نذكر بعض ما وصلنا عبر وكالات الأنباء من بشائر مع قصيدة أنشدت بعد عودة شيخ الأزهر الكبير بل الأكبر محمد المراغي (وهو من رواد التقريب) إلى الأزهر الشريف بعد أن تخلّى عن إمامة الأزهر مدة بسبب عدم الاستجابة لمطاليبه بشأن اعتلاء الأزهر، ثم عاد إليه بفعل ضغوط علماء هذا الصرح الشريف، وبدأ يمارس عمله الإصلاحي الرائد حتى آخر حياته رضوان الله تعالى عليه.

استعداد الحوزة العلمية في قم للتعاون مع الأزهر

قال الشيخ علي عباسي مساعد الشؤون التعليمة في الحوزة العلمية في محافظة قم: إن الحوزة مستعدة للتعاون مع كافة المراكز الدينية في العالم وخاصة جامعة الأزهر في مجال تبادل الطلبة والأساتذة وتوفير الفرص الدراسية. جاء ذلك بناء على تصريحات الشيخ «أحمد الطيب» رئيس جامعة الأزهر المصرية والذي أبدى رغبته للتواصل وتعزيز التعاون مع الحوزة العلمية في قم المقدسة.

وأضاف عباسي : نحن بانتظار دعوة رسمية من قبل الأزهر كي نجتمع ونوقع الاتفاقيات الخاصة بتبادل الأساتذة والطلبة بين الجانبين.

كما أشار: لغرض توسيع العلاقات مع المؤسسات العلمية والإسلامية بالعالم قمنا بتأسيس « دائرة العلاقات الدولية» في

مركز الحوزة العلمية بقم وعين الشيخ زماني مساعدًا للشؤون الدولية في الحوزة . ويذكر أن الشيخ زماني شغل سابقًا منصب المستشار الثقافي في مصر.

وقال الشيخ أحمد الطيب في حوار مع صحيفة الوطن الكويتية قبل أيام : بما أن عددًا من علماء أهل السنة مشغولون الآن بكسب العلوم الدينية في إيران ، فنحن أيضا مستعدون لاستقبال الطلاب الإيرانيين الشيعة ونعتز بقدومهم في الأزهر، ولهذا الغرض أجرينا بعض المفاوضات مع عدد من كبار علماء الشيعة في إيران. وتعد هذه التصريحات من قبل شيخ الأزهر رفضًا لطلب السعودي «احمد بن سعد الحمدان» أستاذ الدراسات العليا في جامعة أم القرى السعودية لشطب المذهب الشيعي الاثنى عشري من قائمة المذاهب الفقهية المعتمدة لدى الأزهر.

الأزهر أول من دعا إلى حوار شامل «دون إقصاء أحد»

أكد الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، أنه لا يستطيع أحد أن يزايد على موقف الأزهر الداعم لأي حركة تحرير داخل مصر وخارجها، قائلاً إن تاريخه يعلو على تاريخ الثورات والحكومات.

وقال إن الأزهر لا يتردد ولا يخاف كما جأرت بعض الحناجر الزاعقة في الداخل والخارج، ولم يمسك بالعصا من الوسط كما قيل، بل أمسك بالعصا وهو يتقلب بين خوفين، خوف قطرة دم تراق من هؤلاء الشباب، وخوف على الوطن أن ينفرط عقده ويدخل في مجهول لا تُرى فيه يمين من شمال.

وأضاف خلال الندوة التي تنظمها الرابطة العالمية لخريجي الأزهر، تحت عنوان «الأزهر وثوره ٢٥ يناير»، إن الأزهر أكد في بيانه الأول الصادر في الثاني من فبراير: أن الإسلام يقرر الحقوق ويحمي الحريات ويرفض الظلم ويقف إلى جانب الشعوب في مطالبها المشروعة في العدل والحرية والعيش الكريم.

وقال الطيب إن الأزهر سبق كل الأصوات التي «تركب الموجة الآن وتتاجر بالدين والأخلاق، وتنتهز الفرصة لإفراغ أحقادها وسمومها السوداء على الأزهر، وعلمائه الشرفاء»، وإنه سبق الجميع حين طالب بحق سائر القوى السياسية «دون إقصاء» في إجراء حوار فوري يهدف إلى احتواء الأزمة ورأب الصدع، وأنا أضع خطًا أحمر تحت كلمة دون إقصاء، كما كان أول من أطلق لفظ «الشهداء» على قتلى الثورة.

وأوضح أن الأزهر كان أول من تصدى لمحاولات «اغتصاب الثورة»، ورفض قيام البعض بالمزايدة على دور الأزهر، فقد شارك الأزهريون في الثورة كما تم السماح للمتحدث الإعلامي السفير محمد رفاعة الطهطاوي بالمشاركة.

واعتبر شيخ الأزهر أن ثورة ٢٥ يناير كانت بمثابة الناقوس الذي أيقظ الضمائر، وقال إن الأزهر لن يكون عنصريًا في يوم من الأيام بل يقف مع كل المسلمين ويتفاعل مع كل الحضارات.

مؤتمر شبابى بالجامع الأزهر

عقد اتحاد شباب أنصار الأزهر أول مؤتمر له بالجامع الأزهر بعد صلاة الجمعة وبحضور المئات من المصلين بايعوا خلاله الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، مطالبين بإلغاء وزارة شئون الأزهر، واستقلال الأزهر ماليًا وإداريًا، مؤكدين أنه قد شاء الله أن يرجع للأزهر دوره وشأنه في العالم الإسلامي، مؤكدين أن هناك رجالا يتكلمون باسم الإسلام روعوا وخوفوا الناس من الدين، لأنهم ليسوا من أهل العلم، موضحين أن الاتحاد الجديد لا ينتمى إلى أي حزب ولا أي جماعة ومنهجه هو منهج الأزهر الشريف المنهج الذي يرسل المسلمون أبناءهم من المشرق والمغرب ليكونوا تحت لوائه.

أعضاء الاتحاد أكدوا أن الديكتاتوريين حاولوا أن يميتوا

الأزهر لكن جعل الله كيدهم في نحورهم، مطالبين بعودة هيئة كبار العلماء على أن يكون منهم ٢٠ عضوًا من خارج مصر كما كان في السابق، وتحويل بعض أعضاء مجمع البحوث الإسلامية الذين لا ينتمون إلى الأزهر أن يكونوا مستشارين للمجمع فقط، والمطالبة باستقلال الأزهر ماليًا وإداريًا وإلغاء وزارة شؤون الأزهر وضم جميع القيادات الدينية تحت رئاسة شيخ الأزهر.

الشيخ جمال أبو الهنود، ممثل وزارة الأوقاف الفلسطينية بالقاهرة وأحد خريجي الأزهر، أكد أن الأزهر أخرج قوافل المجاهدين لتحرير المسجد الأقصى من الصليبيين كما خرج أبناء مصر وعلى رأسهم الأزهر لحماية فلسطين والأقصى من التتار، فهو حامى العقيدة والدين، ونحن من رحاب الجامع الأزهر نشد على يد الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، وندعو الله أن نصلى خلفه في رحاب المسجد الأقصى.

وأضاف أن الأزهر هو منهج الوسطية والاعتدال لم يخرج من عباءته متطرف واحد، فإذا كان القرآن قد نزل في الجزيرة فإنه قرئ فى الأزهر، وإذا كانت الكعبة قبلة للصلاة فالأزهر قبلة العلم.

الشيخ أسامة الأزهري، أحد علماء الأزهر الشباب، أكد أن الأزهر الشريف بقعة طاهرة من الأرض قرأ فيها القرآن والحديث فهو حصن الدين وشمس الديانة ووعاء الإسلام، فالأزهر هو الذي انتزع للمصريين حقوقهم عبر التاريخ فمنذ خروج الثورات خرج

العلماء وسطعت أنوار الدين، مضيفاً باسم الأزهر الشريف نعلن للشعب المصري كافة ولكل المسلمين في العالم أن الأزهر حي ولم ولن يموت، فإلى كل إنسان أزهري على أرض مصر وشرف الله رأسه بالتاج الأزهري، فاعلم أن الأزهر معك ويدفعك فانطلق في المجتمع المصري، وانطلق وأنت تحمل راية النور، فإلى كل مصري اعلم أنك ترتكن إلى ركن شديد، واعلم أنك تستند إلى الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ أحمد الطيب، وإلى كل أبناء التيارات الإسلامية، ارجعوا إلى مرجعية الأزهر وأعطوه قدره.

وردد أعضاء الاتحاد هتافات "أزهرية.. أزهرية لا تفريق ولا عصبية"، فرد عليهم المصلون، "واضحة ومش محتاجة كلام الأزهر حصن الإسلام"، "نحن وراءك يا إمام"، "كلنا خلفك يا إمام"، حاملين لافتات كتب عليها "أنا مصري والأزهر حصني"، و"دعوتنا نرجع كلنا تحت مظلة الأزهر".

يا مصرَ يا أغرودة الدنيا وملحمةَ الدهور
يا مصر يا أنشودة الأكوان يا مجدَ العصور
يا صفحة الماضي المجيد ويا رؤى الآتي النضير
يا فرحةَ الأمل الشهيّ ونفحة الحُلُم المثير
يا مصرُ يا همس الخلود ويا ابتسامات السرور
كم هزني شوق إليك وراح يدفعني شعوري

أين المعزّ الفاطمي وجوهرُ

محمد الأسمر

قيلت هذه القصيدة في حفل أقامه رجال الأزهر وأبناؤه للمغفور له الشيخ الأكبر محمد مصطفى المراغي حين عاد شيخًا للأزهر للمرة الثانية عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م

أين المعز الفاطميُّ وجوهرُ ... يريانِ كيف اليوم، صار الأزهرُ
من بعد ما طار النعاةُ بنعيه ... لاحت علاماتُ الحياةِ فبشَّروا
نهض المسجّى طارحًا أكفانَهُ ... عنه وقد صلُّوا عليه وكبَّروا
فإذا المآتم وهي عرسٌ قائمٌ ... الناسُ فيه مبشِّر ومبشَّر
آمنتُ بالله العليِّ وأنّه ... سبحانه يحيى الرفاتَ وينشر

* * * * *

عادتْ إلى المعمور روعةُ مجدِه ... مما أقام رجالُه والأعصُرُ
وتلألأتْ شمسُ الهدى في أفقِهِ ... فجلت محاسنَه التي لا تُنكرُ
من بعد ما خفيتْ معالمُها بدتْ ... حتى ليبصرها الذي لا يبصر
والليلُ يغشى الكائناتِ فلا تُرى ... وتلوحُ في كنف الصباحِ وتبصر

* * * * *

ولّى الظلامُ فأخلدتْ حشراتُه ... وبدا النهار لطالبيه فشمَّرُوا
فالآن لا ذئبٌ ولا متذئبٌ ... والآن لا نمرٌ ولا متنمِّرُ

قل للوحوشِ من الأنام رويدكم ... هل أمَّكمْ حوّاء كانت تزأر
أو كان آدمُ وهو أوّلُ مرسَلٍ ... سَبُعاً يراه من يراه فينفرُ
ردُّوا النفوسَ إلى حميد خصالها ... فالناسُ خيرهمُ الكريمُ الخيّرُ
من قال إن الشوك أطيبُ موئلاً ... أو مجتنًى مما يظلُّ ويثمرُ

* * ... * *

الأزهريون الغداةَ تفيَّئوا ... للّه نعمتَهُ التي لا تُكفَرُ
أمحمدَ العقبي طلعتَ عليهمُ ... حُلُماً يُرى رأىَ العيانِ ويُنظَرُ
فتدفَّقوا بحرًا يعبُّ عبابُه ... مِن كلِّ ناحيةٍ يجيشُ ويزخر
وظللتُ أسألُ صاحبي متحيّراً ... ومن الحقيقةِ ما يُرى فيحيرُ
هل عاد نابليون عودةَ ظافر ... أو عاد من غَزاوتِه الإسكندر
أو أنّه كسرى وذا نيروزهُ ... أو أنَّه مَلِكُ المماِلك قيصر
وسكتُّ، ثم سمعتُ أصواتَ المنى ... تدعو بأحسنَ ما سمعتُ وتجهر
وتقول لا كسرى ولا أمثاله ... بل ذلكم شيخ الشيوخِ الأكبرِ
فشككتُ ثم نظرتُ نظرةَ فاحصٍ ... فإذا القوام السمهريُّ الأسمرُ
وإذا الجلالةُ والمهابةُ منظرٌ ... وإذا السماحةُ والوداعةُ مخبرُ
وإذا الهدايةُ والرعايةُ كلُّها ... والمصلحُ المترقَّبْ المتنظَّرُ
فاغرورقتْ عيني وأسبلَ دمعها ... ومن السرور مدامعٌ تتحدَّر
واهاً لها أمنيَّةً قد حُقَّقت ... ورؤى رأيناها فجئتَ تُعَبِّر
إجماعُ كلِّ المسلمين ورغبةٌ ... ظلَّت بها كلُّ المدائنِ تجأر
فقدمتَ أكرمَ مقدمٍ وأجلَّهُ ... حتى لأصبحَ وهو ذكر يؤثر
وملأتَ غابَكَ بعد ما غادرتَهُ ... غابًا ذليلاً ليس فيه غضنفر
لعبتْ به أيدٍ لَعِبنَ بجمرةٍ ... شبتْ وظلَّتْ نارُها تتسعَّر
كادت تجيء على البلاد جميعها ... وإذا بها وهي الربيعُ الأخضر

ورجعتَ دارَكَ كرَةً أخرى وما ... أحلى مذاقَ الحلو وهو مكرّر
ومشى بنوها في ركابك كلُّهمْ ... متهلِّلٌ متفائلٌ مستبشر
وتدافعوا كي يحملوكَ وراعهم ... من موج فضلك ما رأوه فشمروا
هل جاءهم من قبل ذلك أنّه ... حملت على بعض الكواهل أبحرُ؟
ما للكواهلِ والبحارِ رويدكم ... خلُّوا الطريقَ لموجها لا تغمروا
خلُّوا الطريق لمن سيحمل عنكُمُ ... أعباءَكم ويحوطكم ويدبِّرُ
ولمن سيجعلكم رجالاً مثلَهُ ... والشِّبلُ يفتل ساعديه القسور
ولمن لديه قلوبُكُم وعقولُكُمْ ... يجلوهما كيما يشعُّ الجوهر
ولمن يصوغكُمُ نفوسًا حرّةً ... تستغير الدنيا ولا تتغيَّر
ولمن إذا بعضُ الحوادثِ أجلبتْ ... وافى يدافع عنكُمُ ويزمجر
يلق العواصفَ وهو أظهرُ ما يُرى ... لا خائفٌ حذر ولا متستِّر
أغنته عن حيل الضعيف عزيمةٌ ... لا تلتوى أبدًا ولا تتقهقر
والليثُ أبرزُ مايكونُ مصاولاً ... وبناتُ آوى والثعالبُ تمكر

* *

شيخَ الشيوخِ ولا أزيدُك بعدها ... لقبًا ليهنك أنّهُ بِكَ يكبر
وأرى صغير النفس إن يعثر به ... لقبٌ كبيرٌ حطَّ منه فيصغر
فانهض بعبئكَ يا محمدُ إنه ... مما يؤودُ الراسياتِ ويوقر
شيخ الشيوخِ جرى القريضُ لغايةٍ ... فيها المجلّى في السباقِ مقصِّر
فاعذر فلستَ بمن تفيه قصيدةٌ ... حقَّ الثناءِ، ومدحُ مثلكَ يعذرُ
ماذا يقول الشعر فيك وما عسى ... يجرى به قَلَمُ البليغِ ويسطرُ
أعمالكَ البيضاءُ أكبر شاعرٍ ... يثنى عليكَ فما يقول الأسمر

القيم الدينية في شعر مفدّي زكريا *

لابدّ أولاً أن نبيّن قصدنا من القيم الدينية ليكون مدخلاً لدراسة هذه القيم في شعر الشاعر الجزائري مفدّي زكريا.

الدين هو المشروع الإلهي لإحياء «الإنسان». دليلنا على ذلك قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

والإحياء هنا ليس الإحياء البيولوجي الذي يشترك فيه الإنسان مع سائر الحيوانات، بل هو إحياء كل ما أودعه الله في الإنسان من طاقات كامنة تدفعه إلى ارتقاء سلم الكمال المعنوي والمادّي.

لتوضيح الفكرة: الإنسان بالمفهوم القرآني يحمل «نفخة» من روح ربّ العالمين تؤهله لحمل أعباء «خلافة» الله في الأرض. وهذه النفخة مودعة في الجسد الطيني، بما يرمز إليه «الطين» من هبوط. وإذا اندثرت النفخة الإلهية تحت ركام الطين، يبقى الإنسان يعيش همومه الخاصة وذاتياته وأنانياته، دون أن يتعدّاها إلى «مَثَل أعلى» خارج هذه الذات. وعندها يصاب الإنسان ويصاب المجتمع بكل مظاهر التردّي الفردي والاجتماعي من ضعف واستسلام وجمود وتحجّر وذلّ وجهل واستكانة وخوف ونزوع إلى

---

*- منشور في مجلة نصوص معاصرة، التي تصدر في لبنان ، ٢٠٠٨م ، ص ٢٤٦ .

الراحة والبطر والكسل، هذا إضافة إلى حالة التمزّق والتشتت والتعصّب الأعمى.

والإحياء يتجه إلى «تحرير» الإنسان من «ظلمات» هذه الحالة وإلى هدايته نحو «نور» الحركة.. نحو تحقيق الأهداف السامية من عزّة وكرامة ووحدة ووئام وقوّة ومنعَة، وقدرة على الدفاع، وعلى الابتكار والإبداع، وعلى ضبط النفس وتوجيهها نحو ما يحقق خير الإنسان والمجتمع الإنساني، وكل ذلك من أهداف الدين ويندرج ضمن إطار القيم الدينية.

من هو مفدّي زكريا؟

مفدي زكريا بن سليمان صالح [1]. ولد في بلدة بني يزفن (جنوبي الجزائر) عام ١٩٠٨م، وتوفي في تونس عام ١٩٧٧م.

عاش في الجزائر وتونس والمغرب، وزار القاهرة ودمشق وبيروت والكويت وقطر وطرابلس.

تلقى تعليمه الأولي في مسقط رأسه، ثم مدرسة السلام القرآنية التي مكث بها عامين محرزًا شهادتها الابتدائية، لينتقل بعدها إلى المدرسة الخلدونية التي تلقى فيها الحساب والهندسة والجغرافيا والتاريخ، ثم التحق بجامع الزيتونة، فأخذ قسطًا من علوم اللغة والأدب، وهناك تكونت شخصيته الثقافية والسياسية؛

١- *معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين .*

عززها التقاؤه بالكثير من العلماء والمثقفين في ذلك العهد.

عمل في الصحافة؛ حيث رأس تحرير مجلة الحياة عام ١٩٣٣، وحرر في جريدتي البرلمان والشعب الجزائريتين ١٩٣٧، ثم في إذاعة تونس، ومارس عدة أعمال بعد استقلال الجزائر منها التجارة والترجمة والتعليم الحرّ.

كان أمينًا عامًا لحزب نجمة أفريقيا الشمالية منذ عام ١٩٣٦، ثم أمينًا عامًا لحزب الشعب الجزائري، وانضم إلى الشبيبة الدستورية وجبهة التحرير الوطني في تونس، وانشدّ إلى أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسسها ابن باديس عام ١٩٣١.

أصبح الناطق الرسمي للحركة الثورية في الأربعينيات، وكلفه ذلك السجن لخمس مرات ما بين ١٩٣٧ و١٩٥٩م.

الإنتاج الشعري:

- له ثلاثة دواوين: *اللهب المقدس*[١] وتحت *ظلال الزيتون*[٢]، ومن *وحي الأطلس*[٣]، وله *إلياذة الجزائر*[٤]، وأورد له

١- منشورات المكتب التجاري - بيروت ١٩٦١، يضم شعره الثوري من ١٩٥٣ إلى ١٩٦١.

٢- طبع في تونس عام ١٩٦٥.

٣- مطبعة الأنباء - الرباط ١٩٧٦.

٤- وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية - الجزائر ١٩٧٣، وهي مطولة ملحمية الطابع في ألف بيت وبيت .

كتاب: *الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية* للدكتور محمد ناصر عددًا من القصائد والنماذج الشعرية، وجمع الدكتور محمد ناصر في كتابه عن مفدّي مجموعة من أشعاره المجهولة السابقة زمنيًا على ما نشر من شعره سنة ١٩٥٣ وما بعدها، وأعيدت طباعة كافة آثاره الإبداعية، كما طبعت دراسات وأبحاث عنه في الذكرى الخامسة والعشرين لوفاته، وفي بعض المناسبات الوطنية.

كتب كلمات النشيد الوطني الجزائري وكلمات معظم الأناشيد الوطنية فيها مثل: نشيد التحرير الوطني، ونشيد الشهداء، ونشيد الانطلاقة الأولى.

الأعمال الأخرى:

- له كتابان: *تقويم المغرب العربي الكبير*[١]، و*أمجادنا تتكلم*[٢].

وقفة عند أصل الشاعر

استوقفني أصل عائلة مفدّي زكريا، فقد ذُكر أن أصولها تعود إلى الرستميين، والرستميون فرس، ولذلك وجد كاتب هذه السطور نوعًا من القرابة مع هذه الأسرة الجزائرية، وهي قرابة

١- المطبعة العصرية - تونس ١٩٦٥.

٢- وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية - الجزائر ١٩٧٤.

تثير في النفس شجونَ أيامِ وحدتنا الحضارية، وتداخل شعوب دائرة الحضارة الإسلامية وتمازجها وتعارفها.

ولا مجال هنا للحديث عن الدولة الرستمية في الجزائر التي حكمت في تاهرت من ١٥٦ ـ ٢٩٦ للهجرة.

ولكن لا بأس من الإشارة إلى أن هذه الدولة أسسها عبدالرحمن بن رستم (١٤٤ ـ ١٦٨هـ). وهذه الدولة رغم تبنيها للمذهب الإباضي، كانت تفسح المجال لكل المذاهب لأن تمارس نشاطها العلمي بحرية، كما كانت تعمل بنظام الشورى.

ويظهر من الوثائق التاريخية أن عبدالرحمن بن رستم كان واليًا على (القيروان)، وهذا الحضور الفارسي في مدينة القيران (بتونس حاليًا) يلفت النظر لأن المدينة اسمها فارسي (كاروان) أي محطة القوافل. ثم بعد حوادث استطاع عبد الرحمن هذا أن يؤسس الدولة الرستمية في تاهرت (بالجزائر حاليًا) وهذا الأسم البربري يعني أيضًا محطة القوافل.

ويذكر اليعقوبي: «والمدينة العظمى مدينة تاهرت جليلة المقدار، عظيمة الأمر، تسمى عراق المغرب، لها أخلاط من الناس غلب عليها قوم من الفرس»[1].

وفي كتاب ابن الصغير المالكي الذي عاصر الدولة الرستمية

١- اليعقوبي، *كتاب البلدان*، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٩٢ .

يرد ذكر «العجم» (الإيرانيين) مرات، ويتحدث عن ابن وردة وهو واحد من «العجم» ابتنى في تاهرت سوقًا يعرُف به[1].

مفدي زكريا عاشقًا

شاعرنا من الذين توفرت لهم الظروف النفسية والشعورية والاجتماعية لأن يعيش مثلاً أعلى خارج ذاته. وأن يخرج من قوقعة مصالحه الشخصية ليسمو ويرتفع، ومن سما وارتفع رأى الجمال في مثله الأعلى، ومن رأى الجمال عشق.

مفدّي عشق الجزائر وتغزّل فيها، أي وظّف شعره لتحقيق عزّتها وكرامتها واستقلالها وتحريرها من المستعمر الفرنسي عسكريًا وفكريًا وثقافيًا، ولذلك كله جاء شعره طافحًا بالقيم الدينية بالمعنى الذي ذكرناه لهذه القيم.

عِشْقُه لهدفه الكبير جعله يستهين بكل هدف غيره، ولذلك آمن بقدسية الشعر وبقدسية الهدف الإحيائي الذي يجب أن يتجه إليه الشعر يقول:[2]

وإننا _ الشعراءُ الناسُ _ ما فتئتْ	أرواحنا، تغمرُ الإنسانَ إيمانا
رسالة الشعر، في الدنيا مقدسةٌ	لولا النبوءةُ.. كان الشعرُ قرآنا
فكم هتكنا بها الأستارَ مغلقةً	وكم غزونا بها، في الغيب، أكوانا

١- ابن الصغير، *أخبار الأئمة الرستميين*، تحقيق محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار المغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦، ص٦٢.

٢- ديوان *اللهب المقدس*، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦١، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

وكـم جلونـا بهـا الأسـرار مبهمـةً وكـم أقمنـا بهـا، للعـدل ميزانـا
وكم صرعنا بها، في الأرض طاغيةً وكم رجمنا بها، في الإنس شيطانا
وكم حصدنا بها الأصنام، شاخصةً وكـم بعثنـا مـن الأصـنام، إنسـانا!
وكـم رفـعنـا بها، أعـلام نهضتنا فخلّـد الشعـر فـي الدنيا، مزايانا

ولعل ارتباط الشاعر بأصالته وعشقه لتراثه دعاه إلى الالتزام الصارم بالشعر العمودي، ورفض فكرة الخروج على أوزان الشعر العربي وقوافيه. يقول:

وعـابثين.. أرادوا الشـعرَ مهزلـةً فـازعجوا بـرخيص القـول، آذانـا
تنكّـروا للقـوافي، حـين أعجـزهُمْ صـوغُ القـوافي.. وضلّوا عـن ثنايانـا
قالوا: جمودٌ على الأوضاع، وزنكمُ فشـعرنا الحـرُّ، لا يحتـاج أوزانـا
فأين من جَرَس الإيقاع، خلطُكُمُ ما الشعر؟ إن لم يكن دوحًا وأغصانا؟
وكيف؟ هل خلّد التاريخ، سخفكـمُ مهمـا تفنّـنَ، إخـراجًا وإتقانـا؟

قصيد الذبيح الصاعد

هذه القصيدة نظمها سنة ١٩٥٥ بسجن بربروس أثناء تنفيذ حكم الإعدام على أول شهيد دشن المقصلة هو أحمد زبانا.

وفيها يرسم صورًا شعريّة تعبّر عمّا يحسّه من جمال مشهد التضحية وجمال المضحّي يقول:[1]

قـام يختـال كالمسيح وئيـدا يتهادى نشـوان، يتلو النشيـدا

١- *اللهب المقدس*، ص ٩ وما بعدها.

فالشهيد في اتجاهه إلى المقصلة (يختال) وهي مشية فخر واعتزاز وفرح وحبور و(يتهادى نشوان) أي يتمايل كالثمل. و(يتلو النشيد) أي يعزف على أوتار حنجرته أجمل الالحان. والمشهد مفعم بالجمال. جمال شعور الشهيد، وجمال خروجه من ذاتيته وأنانيته (الثمل) وجمال الصوت (النشيد):

باسم الثغر، كالملائك أو الطف ـل، يستقبل الصباح الجديدا

والصورة تزداد جمالاً حين يكون المتقدم إلى الشهادة (باسم الثغر) فهو مبتهج ابتهاج براءة وطهر ونقاء (كالملائك أو كالطفل) لأنه ذاهب إلى (صباح) حياة مضيئة مشرقة و(جديدة):

شامخًا أنفه، جلالاً وتيهًا رافعًا رأسه يناجي الخلودا

جمال الشعور بالعزّة والكرامة (شامخًا أنفه) لشعوره بجلال موقفه، ولإحساسه بالفخر والاعتزاز لأنه خرج من العالم المحدود إلى عالم (الخلود).

وتتوالى صور الجمال في الشهيد، ويتحول إلى (روح) تسمو في (ليلة القدر)، وكأنه السلام الذي تبشّر به (سورة القدر):

وتسامى، كالروح، في ليلة القد رِ، سلامًا، يشعّ في الكون عيدا

بعدها يدخل الشاعر في وجدان الشهيد ليتماهى فيه، ويستشعر صموده وبطولته ورحمته حتى على جلاده، وهي صورة جمالية رائعة أن يدعو الشهيد جلاده بأن يسفر عن وجهه ولا يتلثم، لأنه يكنّ الحبّ حتى له، ولا يحمل حقدًا على أحد، إذ

يرحّب بالموت الذي يهب الحياة لشعبه ولوطنه:

اشنقوني فلست أخشى حبالاً ... واصلبوني فلست أخشى حديدا
وامتثل سافرًا محيّاك جلاّ ... دي، ولا تلتثم، فلستُ حقودا
وأقض يا موت في ما أنت قاضٍ ... أنا راضٍ، إن عاش شعبي سعيدا
أنا إن مت، فالجزائر تحيا ... حرة، مستقلة، لن تبيدا

وما أروع التضمين القرآني في قوله: «واقض ما أنت قاض» فهي قولة السحرة لفرعون بعدما آمنوا واستعدوا لأي مصير فيه رضا الله سبحانه: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾.

وتتقاطر صور الجمال والعظمة في رسم مشهد تقدم أحمد زبانا نحو مذبح الشهادة، ويوصيه أن يبلغ رفاقه في السماوات أنباء ثورة الجزائر والثوار الجزائريين من كهول وشباب استرخصوا الحياة في سبيل العزّ والكرامة والحرية، ويصوّر عدالة قضيته بمنطق إنساني، فطبيعة الإنسانية الحرّة تأبى الذل والتشريد والجبن أمام الظالمين: كل ذلك في تضمينات قرآنية بشأن (المستضعفين) وفي عبارات (يا أرض ابلعي):

ليس في الأرض سادة وعبيد ... كيف نرضى بأن نعيش عبيدا؟!
أمن العدل، صاحب الدار يشقى ... ودخيل بها، يعيش سعيدا؟!
أمن العدل، صاحبَ الدار يَعرى ... وغريبٌ يحتلُّ قصرًا مشيدا؟
ويجوعُ ابنها، فيعدمُ قوتًا ... وينالُ الدخيل عيشًا رغيدا؟؟

ويبـــيح المســـتعمرون حماهـــا ... ويظـل ابنُهـا ، طريـدًا شـريدا؟؟
يا ضَـلال المستضـعفين، إذا هـم ... ألفـوا الـذل، واسـتطابوا القعـودا!!
لـيس في الأرض، بقعـة لـذليل ... لَعَنَتـه السـما ، فعـاش طريـدا...
يـا سماء، اصعقـي الجبان، ويا أر ... ض ابلعي، القانـع، الخنـوعَ، البليـدا

أن المنهج الذي أعتمده ابن باديس وصحبه من علماء الإصلاح بالمغرب الإسلامي، إنما هو امتداد للثورة الإصلاحية التي فجرتها روح الأفغاني، وأرست دعائمها عبقرية الإمام عبده، والشيخ رشيد رضا بالمشرق الإسلامي، وقد سجل هذه الحقيقة الشيخ المرحوم «محمد العيد» إذ يقول مخاطبًا ابن باديس: في الحفل الذي أقيم له بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم:

حكيتجمال الدين في نظراته ... كأن جمال الدين فيك مصور
وأشبهت في فقه الشريعة عبده ... فهل كنته،أم عبده فيك ينشر

عبدالرحمن شيبان